الجامعة الإسلامية- غـزة
عمادة الدراسات العليـــا
كـلـيـــة التـــربيـــة
قسم التربيـــة الإسلاميـــة



الدلالات التربوية لمفهوم الصحبة في ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة

إعداد الطالبة
منى ياسر دياب صباح

إشراف الدكتور
سليمان حسين المزين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية

1431 هـ - 2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

[الزُّخرف:67]

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى قائدي، وقدوتي، حبيبي وسيدي محمد رسول الله ﷺ إيماناً به وتصديقاً

إلى الأكرم منا جميعـــــاً... شهــداء الوطــن والحرية "شهداء فلسطين"

إلى الأســـــرى البــواســل والجــرحـــى الأعـــزاء عـــلـــى قلــوبــنـــا

إلـــى الـــوالـــدين الغاليين، أمدّ الله في عمريهما، عرفاناً وتقـــديراً بفضلهما بعد الله -تعالى- فـــي شحـــذ همتـــي والدعـــاء لـــي بالتوفيـــق والســـداد

إلـــى كـــل من جعل نفســـه شمعة تضيء لنا الطريق

إلـــى إخواني وأخواتـــي الأعـــزاء وزوجـــة أخـــي

إلـــى كل من أحببتهم في الله وأحبوني

وأخيراً ... إليكم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

بكل تقدير وعرفان ومعزة واحترام

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله -سبحانه وتعالى- الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة، وصليّ وسلم على هادي الأمم، ومعلم البشرية محمد بن عبد الله الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، أما بعد:

فالشكر أولاً لله -تعالى- على كرمِه ورحمتِه وعطائِه، عملاً بقولِه -سبحانه وتعالى-: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7] وانطلاقاً من قولِ رسولِ الله ﷺ : "**من لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللَّهَ**" (الترمذي، 1998، ج3، ص505) ومن هنا، أغتنم الفرصة كي أقدم باقة من الشكرِ الخالصِ إلى كل من كانَ له أثر في رعايتي ومساعدتي بعلمِه ووقتِه لإنجاز هذه الدراسة، وأدعو الله ﷻ أن يوفقه وينفعه بعلمه، وتأكيداً لقوله ﷻ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ [الرَّحمن:60] أتقدم بالشكر الخالص للجامعة الإسلامية، منارة العلم والدعوة في قطاع غزة، بل في فلسطين الحبيبة، التي ساعدت الكثير من طلبة العلم على إكمال دراستهم رغم الصعاب والتحديات التي واجهتها؛ فلقد دمرت وقصفت في محاولات عديدة من قوات العدو الصهيوني، لإبادة هذا الصرح التعليمي، ولكن مشيئة الله- تعالى- بأن يحفظ العلم والعلماء ويبقيهم ذخراً للأمة الإسلامية.

كما أتقدم بالشكر لعمادة الدراسات العليا، التي طالما أرشدتنا، وسِرنا على خطى توجيهاتها التي هيّأت لنا طريق خطانا الأولى، أدامها الله تعالى ومن فيها.

وأشكر -أيضاً- كليتي الناهضة، كلية التربية- قسم أصول التربية التي التحقت بها منذ باكورة دراستي بالبكالوريوس، ثم الماجستير، حتى دامت لسبع سنوات متواصلة من العطاء المستمر، أدامها الله -تعالى- ذخراً للجامعة الإسلامية، وللأمة الإسلامية كافة.

وأتقدم بالشكر للعاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية، الذين طالما قدموا كل ما يستطيعون من مساعدة، جعلها الله- تعالى- في ميزان حسناتهم.

من هذا المنطلق، أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري وامتناني إلى بستان المعرفة معلمي وأستاذي المشرف على هذه الدراسة، الدكتور الفاضل/ **سليمان المزين**، الذي شرفني بالإشراف على هذه الدراسة، ولاهتمامه ومتابعته في كل خطوة من خطواتها، وكذلك لتوجيهاته وإرشاداته القيمة التي ساهمت في إخراجها بهذه الحُلّة، فقد غمرني بعلمه الواسع، وأسعفني بتوجيهاته الكريمة، وسديد رأيه، وستبقى توجيهاته القيمة وأخلاقه الرفيعة مصباحاً ينير لي الطريق في مستقبل حياتي، وأسال الله أن يسهل له -بعلمه- طريقاً إلى الجنة، وأن يقربه منه

بحسن خلقه ولين جانبه وسعة أفقه وكريم صبره، وأن ينفع الله به الإسلام والمسلمين وطلبة العلم، وأن يرفع درجاته، في الدنيا والآخرة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر إلى عضوي لجنة المناقشة؛ لقبولهما مناقشة هذه الرسالة وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات القيمة، كل من الأستاذ الدكتور/ محمود أبو دف، والدكتور/ محمد زقوت.

وأخص بالشكر –أيضاً مع عظيم التقدير– الأستاذ الدكتور الفاضل/ محمود أبو دف، الذي طالما ساعدني، منذ بداية الدراسة للمساقات، إلى اختيار عنوان هذه الدراسة، وأنار لي أفقاً واسعاً من خلال توجيهاته، وأوضح لي الأسس العلمية المتينة، التي أخطو على هديها. أدام الله فضله وعلمه، ورفع درجاته في الدنيا والآخرة بإذن الله– تعالى– فجزاه الله عنا وعن المسلمين وطلبة العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص شكري إلى الدكتور الفاضل/ حمدان الصوفي، داعية الله ﷻ أن يفرج كربه، ويفك أسره، في القريب العاجل بإذن الله –تعالى–.

وأتقدم بالشكر والتقدير لوالدي، اللذين أضاآ لي الطريق بفضل دعائهما وإرشاداتهما، وأدعو الله –تعالى– أن يحفظهما ويمد في عمرهما مع حسن العمل.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من شجعني على مواصلة دربي، وشاركني وساندني وساهم أو نصح أو أرشد، ولو بكلمة واحدة، في إنجاز هذا العمل، وأتقدم بشكري وتقديري واحترامي الخالص إلى الحضور الكرام.

وأسال الله –تعالى– أن يتقبل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم.

الباحثة

قائمة المحتويات

ملخص الدراسة

الدلالات التربوية لمفهوم الصحبة في ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة

هدفت هذه الدراسة إلى:-

1- تحديد مفهوم الصحبة في الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

2- الكشف عن أهم المقومات الواجب توافرها في الصاحب الصالح .

3- توضيح الشروط والآداب التي يجب أن يلتزم بها الأصحاب لنجاح هذه العلاقة.

4- بيان الأثر التربوي للصحبة الفاعلة.

وقد استخدمت الباحثة أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفية كإحدى تقنيات المنهج الوصفي.

وكان من أهم نتائج الدراسة:-

1- كشف القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، عن مرادفات مهمة للصاحب، كالصديق، والخليلِ، والقرينِ، ما أكد على معنى واحد، ضرورة دوام المرافقة، وصدق المودة، كي يكون صاحباً، بما تحمله من معانٍ.

2- أهمية الصحبة في بناءِ الشخصية وتوجيهها وجهة سليمة؛ حيث إن الفرد لا يستطيع أن يعيش وحيداً، فلا بد من المخالطة والمعاشرة، كي تنمو جوانب شخصيته الوجدانية والاجتماعية بشكلٍ سليم.

3- للصحبة الصالحة مقومات تستند إليها، التي تعد معايير لاختيار الصاحب الصالح، كما أشار الكتاب والسنة النبوية الشريفة، التي تمثلت في: الإيمان والتقوى، والمنبت الحسن، والتوافق النفسي والروحي، وتقارب العمر، ووحدة الحال والمصير، والصدق في المودة، والأمانة.

4- أبرزت الدراسة آداب عدة وأسساً تقوم عليها الصحبة الصالحة، للمحافظة على توطيد هذه العلاقة، ودوامها مدى الحياة، وهذه الآداب تمثلت في: ضرورة إخلاص الحب لله (تعالى)، ووجوب التزاور والتواصل، ومؤازرة الصاحب وقت الضيق، والاعتدال في المحبة، والإيثار والتواضع والعفو عن الزلات، وتقبل الأعذار والوفاء والإخلاص، والدعاء له بعد مماته... وغيرها من الركائز التي تم توضيحها في الدراسة وبيان أثرها.

5- للصحبة الصالحة آثار واضحة، فمنها ما يعود على الصاحب، مثل: المساعدة على الاستقامة والصلاح، وتعزيز احترام الذات، والتفوق والنجاح في أمور حياته، وتربية وتقويم الذات، والحصول على الاتزان والتوافق النفسي، ومنها ما يعود على المجتمع، مثل: إشاعة روح المحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وإشاعة التماسك الاجتماعي، وصلة الأرحام والتواصل، وتعزيز مبدأ التناصر بين المسلمين.

ومن أهم توصيات الدراسة ما يلي:-

1- ضرورة توطيد العلاقة بين الآباء والأبناء، وإزالة تلك الحواجز التي تحول دون التواصل والحوار، داخل الأسرة.

2- توجيه الآباء أبناءهم لاختيار الصاحب الصالح، وتحفيزهم على بناء تلك العلاقات، وتهيئة الجو المناسب لذلك، مع مراقبتهم، وإرشادهم باستمرار.

3- مبادرة المربين، وخاصة المعلمون، بمعايشة طلابهم، والتقرب منهم، والتعرف إلى حاجاتهم ومشكلاتهم عن قرب، بحيث تكون علاقة صحبة تسودها المحبة والحنو والرفق بهم.

4- اهتمام المعلمين داخل البيئة الصفية، بتنمية العلاقات الاجتماعية بين الطلاب، وتعزيز الصحبة بينهم، وتثبيت بعض المفاهيم كحب إصلاح ذات البين، محاولين حل بعض مشكلاتهم أمام الطلاب، كنموذج حي على ذلك.

5- تطبيق بعض طرق التدريس، وإدارة الصف التي تنمي العلاقات الاجتماعية بين المعلم والطلاب، وبين الطلاب وبعضهم البعض، مثل:التعلم بالأقران، والتعليم التعاوني، وأسلوب المناقشة والحوار، والخروج إلى رحلات.

الباحثة

منى ياسر صباح

Abstract

Educational Indications for the Concept of Companionship in the Light of the Holly Quran and the Prophetic Sunna

This study aims at:

1. Identifying the concept of companionship in the Islamic education.
2. Identifying basic features of the good companion.
3. Explaining rules and conditions for positive companionship.
4. Showing the right educational effect of good companionship.

The researcher follows content analysis method regarding the qualitative aspect as a technique of descriptive approach.

Study Findings:

1. The study finds that the Holly Quran revealed many synonyms for the companion as the friend and the mate. Moreover, this assures the importance of companionship and intimacy in order to achieve such concept.
2. The study finds that the companionship has its own significance in building and guiding the personality towards rightness. The individual cannot live alone. One has to find good companionship to enhance the growth of the emotional and social elements.
3. The study finds that good companionship has fundamentals, and it is considered as standards to choose the good companion as mentioned in the Holly Quran and the Prophetic Sunna. These fundamentals are faith, piety, good raising, psychological and spiritual harmony, converged age, unity of state and destiny, honesty and true intimacy.
4. To strengthen and ensure the continuity of the idea of companionship, The study highlights on some basics as true friendship of the sake of Allah, visiting and contacting, helping friends in the hard times, moderation, altruism, modesty, forgiveness, faithfulness and supplication after death.
5. The study finds that the good companionship has obvious results in the present life such as; helping to be pious and, gaining good reputation, succeeding in life, raising the self and acquiring psychological balance. These results undoubtedly

reflected in the society in many images as the spread of love, friendliness and honesty between people, visiting kin relatives, exchanging cooperation and generosity among community members.

Study Recommendations:

1. Strengthening the relationship between children and parents and removing all barriers inside the family.
2. Guiding children by their parents to select the right companion and to build good relationships.
3. Motivating teachers to give more care for their students by being closer and understanding to enhance the concept of companionship.
4. Caring for social relationships inside the classrooms and supporting elements of friendship as conciliation between disputing parties.
5. Applying some teaching methods and class management that promote the social relationships between teachers and students. These methods include cooperative education, learning by association, discussion, dialogue and trips.

Researcher

Mona Yasser Sabbah

الفصــل الأول

الإطار العام

مقدمة.

مشكلة الدراسة.

أهداف الدراسة.

أهمية الدراسة.

منـهج الدراسة.

حدود الدراسة.

مصطلحات الدراسة.

الدراسات السابقة.

مقدمة الدراسة:

خلق الله –سبحانه وتعالى– الناس جميعاً من ذكرٍ وأنثى، آدم وحــواء فمرجــعُ الخلــقِ جميعاً إلى أصلٍ واحد، وهذا أدعى إلى التواصلِ والتراحم، وعدم التعالي والتفاخر.

فمن طبيعةِ الإنسان حب المخالطة ومعاشرةِ الناس، بل إنها ضــرورة ملحــة وحاجــة بشرية، لا يستطيع الإنسان العيش دونها؛ فالإنسان مدني بطبعه يألف للجماعة والمخالطــة، ولا يستطيع العيش وحيداً في عزلة عن المجتمع، ومن استطاع ذلك فلقد عاد عليــه بآثــار نفــسية واجتماعية سلبية؛ لذا حث الإسلام على التجمع ولو في العبادات، وعلى الأقــل خمــس مــرات يومياً، والصلاة في جماعة وصلاة الجمعة، ما هي إلا اجتماع أسبوعي للمسلمين، كي يتعــارفوا ويتشاوروا في أمورهم، والحج يعد تجمعاً سنوياً من جميع أقطار العالم، بغض النظر عن ألوانهم وجنسياتهم، فقد تجمعهم رابطة الإسلام؛ لذلك حبب الإسلام في المخالطة؛ بحيث يعظم الأجر عند المخالطة والصبر على أذى الناس أحياناً؛ حيث **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**: "**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ ولا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُــمْ**" (ابــن حنبل، ج2: ص 43) وكان الصبر على الأذى أرحم من العزلة وانطواء الإنسان على نفسه، وما قد ينتج عنها من مضار صحية، عليه وعلى أسرته.

ومن أغرب المظاهر، حين نجد بين شخصين تعلقاً ملموساً وصحبة قوية، وليس بينهمــا صلة أرحام ولا مصاهرة، ولكن حين يعرف ما كان يخفى، إذ الأرواح جنــود مجنــدة، يتــآلف المتعارف منها ويتناكر المختلف، حيث يقول الإمام(الغزالي) رحمه الله: "إن في ائتلاف القلــوب أمراً غامضاً وخفياً، فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة ولا حــسن في خَلقٍ أو خُلُق، ولكن لمناسبةٍ تُوجب الألفة والموافقة، فإن شبه الشيء ينجذب إليــه بــالطبع، والأشياء الباطنة خفية، ولها أسباب دقيقة ليس في قوةِ البشر الاطلاع عليهــا." (الغزالــي، ج2: ص147)

وبالطبع لا يمكننا أن ننسى تلك العلاقة التي ينبغي أن تسودها المودة والحنو والاحتــرام المتبادل بين المربي والمتربي، وضرورة معايشة المتعلم للعالم لما له من فوائد، قد ترجع علــى المتعلم من اكتسابه للأخلاق الحميدة والمبادئ والمهارات الخاصة بالعالم عن طريق المحاكاة؛ إذ أعينهم معقودة دائماً على المعلم فما استحسنه يستحسنوه وما استنكره يستنكروه.

فمن خلال معايشة الباحثة لتلك الأجواء وعلاقتها الطيبة مع طالباتهــا، ومــا لــه مــن انعكاسات، ساعدت على ارتفاع مستوى التحصيل المعرفي واكتساب بعض المهــارات وطــرق التفكير وامتصاص الكثير من الأخلاقيات المرغوب بها لدى الطالبات؛ حيث تعدّ من الطرق غير

المباشرة في التعليم واكتساب المهارات، وأيضاً من خلال ملاحظتي لآثار الصحبة على الأصحاب، وسرعة تعلمهم من بعضهم البعض، من خلال التعلم بالأقران، وما يعرف بالتعليم التعاوني، كل هذه كانت أسباباً مباشرة لاختيار موضوع الدراسة.

أما في واقعنا المعاصر وما نعيشه من أجواء يسودها الجمود والجفاء، لا سيما في العلاقة بين العالم والمتعلم، وداخل الأسرة: بين الآباء والأبناء، والأزواج وزوجاتهم، حيث تسوء بهم العشرة حتى تنتهي إلى الانفصال وتشتت تلك الأسر، ويكون وراء ذلك قلة الوعي بالواجبات والحقوق لتلك الصحبة والعشرة. فعلى صعيد الوطن العربي عامة –أيضاً– وفلسطين خاصة، ويمكن أن نقول، أينما وجدت القسوة والجمود وجد التخلف والتدني على كل المستويات، والعكس صحيح .

ومن هذه الدراسة –أيضاً– ننوه بخطورة تلك الصحبة وما يتبعها في بعض الأوقات، من انزلاقات للأبناء، حيث قيل: " الصاحب ساحب " لعلنا نذكر ما قاله معلمنا ﷺ: "**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**" (أبى داود، ج2 : 675) فكان لا بد لنا من تقديم الوعي اللازم للمربين، في ضوء المعايير التي يجب أخذها بعين الاعتبار لاختيار الصاحب المناسب لأولادنا .

وما يجب أن يكون عليه الأصحاب، من آداب ومعايير لتلك الصحبة، وبيان الآثار التربوية العائدة على الأصحاب كونهم على اتصال دائم ببعضهم البعض، مما قد يعود بالأثر إما الإيجابي أو السلبي على كليهما، حيث الطالب المجتهد لا يصحب إلا مجتهداً، ونجد أيضاً البخيل عندما يصحب مجموعة من الكرماء، مع الوقت قد يتخلى هو عن صفة البخل، وبالمحاكاة قد يصبح كريماً تقليداً لأصحابه.

لذا كانت هناك محاولات وجهود عدة لا بأس بها، مثل: دراسة خليف (2005) بعنوان "**الصحبة في القرآن الكريم**"، التي أشارت إلى مفهوم الصحبة وأهم مقوماتها وبعض النماذج لصحبة الأخيار والأشرار في ضوء القرآن الكريم .

وكان هناك بعض الدراسات الميدانية، مثل: دراسة لطفي (2000) بعنوان" **جماعة الأقران ومشكلة التغيب عن الدراسة** "، دراسة ميدانية كعينة من الطالبات في جامعة الإمارات العربية المتحدة. حيث أكدت على أن الأقران داخل الجامعة تمارس ضبطاً اجتماعياً قوياً على اتجاهات الطالبات نحو التغيب أو عدم التغيب.

وأيضاً، دراسة للشنطي (1998) بعنوان: "**المضامين التربوية المستنبطة من خلال سورتي الإسراء والكهف**"، أشارت تلك الدراسة في أحد فصولها إلى بعض الإشارات التربوية

التي يجب أن يكون عليها الحال بين العالم والمتعلم، في ضوء رحلة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام، وقدمت أيضاً بعض السبل المقترحة لتقوية العلاقة بين العالم والمتعلم .

وجاء العديد من المقالات التي تحدثت عن هذا الموضوع، مثل: مقال لمصطفى الشيخ (1995) بعنوان: "**آداب الصحبة**"، حيث ألقى فيه الضوء على أهمية وضرورة المعاشرة وحب الإنسان بطبعه للمخالطة والابتعاد عن العزلة، مشيراً لأهم الضوابط التي ينبغي أن تكلل تلك الصحبة، مستشهداً ببعض النماذج من الصحبة الصالحة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وقد أشار عبد الرحيم(1994) بعنوان: " **الصحبة في رحاب القرآن الكريم والسنة الشريفة**"؛ حيث ألقى الضوء على نماذج من الصحبة الصالحة ولا سيما صحبة أبي بكر الصديق للرسول ﷺ وتحمله وصبره على أذى المشركين وملاحقتهم لهم، وتطرق لبعض المعايير الواجب توافرها في الصاحب الصالح.

وفى هذه الدراسة أرادت الباحثة بيان مفهوم و أهمية الصحبة وأبعادها ومقوماتها التربوية، في ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة، محاولة لتأصيل فكرنا التربوي المعاصر، وتمحيص ما عندنا ومحاولة لإبراز القيّمُ النَفيس، كما أوضحت نتائج هذه الدراسة بعض المعوقات التي تحول دون تكوين صداقات حميمة صالحة.

فقد جمعت هذه الدراسة بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبعض أقوال العلماء المسلمين الأجلاء، تم جمعه وتصنيفه –بإذن الله تعالى– لمعايير ومقومات وآثار للصحبة، وتقديم بعض النماذج للصحبة الطيبة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما ورد عن السلف الصالح –بإذن الله تعالى– حتى يتيسر على المربين، في جميع المجالات، استثمار تلك الأفكار لتوجيههم لبناء الأجيال المؤمنة بربها الواثقة بدينها والعاملة بسنة نبيها محمد ﷺ.

مشكلة الدراسة:

وفي ضوء ما سبق يمكن أن تصاغ مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

ما الدلالات التربوية المستنبطة لمفهوم الصحبة في ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس الأسئلة التالية:–

1– ما مفهوم الصحبة المستنبط من خلال الكتاب والسنة؟

2– ما مقومات الصحبة المستنبطة من خلال الكتاب والسنة ؟

3- ما الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها الأصحاب المستنبطة من خلال الكتاب والسنة؟

4- ما الآثار التربوية المترتبة على الصحبة المستنبطة من خلال الكتاب والسنة ؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى ما يلي:-

1- تحديد مفهوم الصحبة في الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

2- الكشف عن أهم المقومات الواجب توافرها في الصاحب الصالح .

3- توضيح الشروط والآداب التي يجب أن يلتزم بها الأصحاب لنجاح هذه العلاقة.

4- بيان الأثر التربوي للصحبة الفاعلة.

أهمية الدراسة:

اكتسبت الدراسة أهميتها من خلال ما يلي:-

1- أهمية الصحبة ودورها، وتأثيرها على سلوك الأصحاب بما ينعكس على نمط الشخصية العام.

2- يمكن أن يستفيد من نتائج الدراسة كلٍ من:

- الآباء.
- المعلمون.
- الدعاة.
- وكل من له علاقة بتربية المواطن وإرشاده وتوجيهه.

3- كما أن نتائج الدراسة يمكن أن تشكل منطلقاً لبناء أداة لقياس وتقييم نمط الصحبة في أي مرحلة من المراحل.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة أسلوب تحليل المحتوى، كإحدى تقنيات المنهج الوصفي (أبو دف والوصيفي،2007: ص15)؛ حيث تم استخراج بعض الدلالات التربوية من خلال بعض الآيات القرآنية، والسيرة النبوية الشريفة كشواهد، التي تم إدراجها تحت الجانب الخاص بها من الجوانب التي ذكرت في تساؤلات الدراسة.

حدود الدراسة:

دارت الدراسة حول بعض الآيات القرآنية الكريمة، والسنة النبوية الشريفة، من خلال التركيز على الأحاديث الشريفة التي تشير إلى ركائز وآثار ومقومات الصحبة.

مصطلحات الدراسة:

الدلالات التربوية :

عرفها (نصر الله :1998، ص5) بأنها: "جملة المفاهيم والمبادئ والمعايير والأساليب التربوية التي من شأنها أن تكون مقومات أساسية للعملية التربوية التي تستهدف بناء شخصية الإنسان".

عرفت الباحثة الدلالات التربوية تعريفاً إجرائيا بأنها: جملة المفاهيم والآثار والمعايير والآداب المتعلقة بالصحبة، كما جاءت في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

الصحبة:

أخذت الصحبة مرادفات عديدة في اللغة العربية فكان من ضمن تلك المرادفات (الأقران، الأخلاء، الأصدقاء، الجماعات المرجعية، الرفاق).

عرف (كفافي :1998، ص 154) **جماعة الأقران** بأنها:" تلك الجماعة التي تتكون من مجموعة من الأفراد المتقاربين في السن، أو الميول والاتجاهات، وغيرها، ويربط بينهم مجموعة من الروابط العاطفية والاجتماعية، وهذه الجماعة بنظمها وتقاليدها تمثل أحد الأطر المرجعية للطفل والمراهق.

وعرفت الباحثة الصحبة تعريفاً إجرائيا بأنها "هي علاقة تقوم بين شخصين، وتتصف بالجاذبية والقبول المتبادل، المصحوب بمشاعر وجدانية، المرتكزة على أساس التقوى، حيث تثمر فوائد عديدة ترجع على كلا الشخصين بالأمن والاستقرار الوجداني الاجتماعي".

الدراسات السابقة:

استطاعت الباحثة، في حدود اطلاعها، أن تعثر على بعض الدراسات السابقة، وقدمت الباحثة عرضاً موجزاً لبعض هذه الدراسات ذات الصلة مُرّتبة حسب تاريخ النشر بدءاً بالأقدم، فالأحدث على النحو التالي:

1. دراسة زقوت (1990) بعنوان: " الأخوة الإسلامية في القرآن والسنة النبوية".

أشارت الدراسة إلى معنى الأخوة والحقوق وأهم الآداب والفضائل والأسس والآثار المترتبة على الأخوة، ولقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التاريخي مستقرئة ما ورد من الآيات والأحاديث .

وقد خلصت إلى نتائج عديدة من أبرزها :-

أ- عودة تطبيق الأخوة الإسلامية معناها العودة لتحقيق الوحدة الإسلامية المتماسكة.

ب- تساعد على نشر الإسلام في ربوع الأرض .

2- دراسة أبو سريع (1991) بعنوان: " الأبعاد الأساسية للصداقة" دراسة ارتقائية على عينة من تلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية".

هدفت الدراسة إلى استكشاف أهم أبعاد الصداقة، والوقوف على درجة التغير والثبات في هذه الأبعاد عبر مختلف المراحل العمرية لدى عينات من تلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية.

ثم إعداد المقاييس الملائمة لهذه الأبعاد بعد تعريفها التعريف الإجرائي.

أعدت الدراسة أداة لتقييم ستة مقاييس لتقدير ستة أبعاد للصداقة، التي منها ما يلي:-

أ- وظيفة الصداقة وأهميتها.

ب- الخصال المرغوبة في الصديق.

ج- مهارات بدء الصداقة.

حيث أجريت الدراسة الأساسية على عينة إجمالية يبلغ عددها(750) تلميذاً من الذكور، موزعين بالتساوي على المراحل الارتقائية الثلاث: (الطفولة المتأخرة، والمراهقة المبكرة، والمراهقة المتأخرة).

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:-

أ- تزيد قوة العلاقات بين المكونات الفرعية للصداقة داخل كل بعد مع تقدم العمر.

ب- يقل عدد الأصدقاء المقربين وعدد الصداقات المتبادلة والشعبية بين الزملاء مع تزايد العمر.

ج- كما كشفت النتائج عن وجود تفاعل بين متغيري العمر(أو المرحلة الارتقائية) والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، في علاقاتهما ببعض مكونات ومتغيرات الصداقة.

3- دراسة الشنطي(1998) بعنوان: "مضامين تربوية مستنبطة من خلال سورتي الإسراء والكهف".

استهدفت الدراسة بيان أوجه الحاجة إلى القرآن الكريم، باعتباره المصدر الأساسي الأول لتربية الإنسان والمجتمع المسلم، والتعرف إلى الأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية من خلال سورتي الإسراء والكهف.

وبينت الدراسة أهمية المفاهيم والمبادئ التربوية التي تم استنباطها من آيات سورتي الإسراء والكهف، وكان من ضمنها الصحبة وأهميتها وبيان آثارها على المعلم والمتعلم وبينت بعض آدابها ومقوماتها.

وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وكذلك المنهج الاستنباطي.

وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية:-

أ- بينت الدراسة أن العلاقة بين العالم والمتعلم علاقة صحبة، وهذه العلاقة توفر للمتعلم من يقتدي به، وينقل عنه السلوك المرغوب؛ لأن من أنفع الطرق في تلقي العلوم الاتصال المباشر بالعلماء والتلقي المباشر عنهم.

ب- وأوضحت الدراسة أن الرحلة تعد مبدأ تربوياً مهماً؛ حيث يتلقى الإنسان العلم مباشرة عن العلماء، وإن لها آداباً يجب أن تُتَّبع حتى تحقق أهدافها، ومنها: تحديد هدف الرحلة، مدة الرحلة، اختيار رفيق الرحلة.

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

أ- أن تستمد المفاهيم والمبادئ والأساليب التربوية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ب- الالتزام بالقدوة الحسنة، والمعلم لا بد أن يمثل المنهج الذي يجده، ويربي به؛ حيث يرى على هديه، حتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله.

4- دراسة نصر الله (1998) بعنوان: " مضامين تربوية مستنبطة من كتاب الأدب في صحيح البخاري".

تضمنت الدراسة أهدافاً تتلخص في التعرف إلى بعض المفاهيم التي تقدمها التربية الإسلامية، ثم بيان بعض المبادئ التربوية والآثار العملية لها، وكذلك الكشف عن بعض المعايير والأساليب التربوية، وذلك كله من خلال الأحاديث الواردة في كتاب الأدب في صحيح البخاري. ومن المبادئ التربوية التي أشار إليها الباحث كانت الصحبة بين المعلم والمتعلم، ومبدأ الرحمة بالمتعلم والتيسير عليه وما له من آثار ومنافع تعود على كليهما.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تم استخراج مضامين تربوية من خلال الأحاديث النبوية الواردة في كتاب الأدب في صحيح البخاري .

وقد أسفرت الدراسة عن نتائج عديدة، من أبرزها:

1- تضمنت الأحاديث النبوية في كتاب الأدب لبعض المفاهيم التربوية كالرعاية والمخالطة وتبين من هذه الأحاديث الحث على مخالطة المربي لمن يربيهم ومؤانستهم ومداعبتهم خاصة الأطفال منهم.

2- احتواء الأحاديث النبوية في كتاب الأدب على مبادئ تربوية كمبدأ رحمة المعلم بالمتعلم والتيسير ورفع الحرج.

5- دراسة روسان (2000) بعنوان: " فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي".

هدفت الدراسة إلى بيان فكرة وقيمة الصداقة، والشروط التي تقوم عليها هذه الفكرة وأهميتها في حياة الأفراد عند كل من أرسطو وأبي حيان التوحيدي .

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال قراءة كلا الفلسفتين، واستنباط أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بينهما.

وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية:-

أ- أن كلا المفكرين غنيان بالأفكار والتأملات التي تحيط بمختلف أبعاد الصداقة.

ب- قد تصلح هذه الأفكار لأن تكون فروضاً قابلة للاختبار في الوقت الراهن.

ج-هناك أوجه تشابه بين الفيلسوفين، بأن بيّن كلاهما أهمية الصداقة كعلاقة اجتماعية في حياة الأفراد، والجماعات، وأن الصداقة تقوم على المعاشرة والتشابه والمشاركة الوجدانية، إدخال القهر أو الرهبة في علاقات الصداقة يضر بهذه العلاقة ويفسدها، وأن كلاً منهما يحرص على عامل المكان والزمان وحسن الخلق في توطيد العلاقة وتوثيقها.

د- هناك أوجه اختلاف بين الفيلسوفين، في المنهج: أبو حيان نهج منهجاً وعظياً يقوم على النصائح والإرشادات، أما أرسطو فقد نهج منهجاً عقلياً، يمتاز أرسطو بتقسيمه للصداقة إلى ثلاثة أنواع، بينما لا تجد عند التوحيدي مثل هذا التقسيم.

6- دراسة علي (2000) بعنوان: "جماعة الأقران وعلاقتها بالمشكلات السلوكية والمزاجية لدى المراهقين من طلاب المدارس الثانوية" دراسة ميدانية".

هدفت الدراسة إلى الكشف عن المشكلات السلوكية والمزاجية التي يعاني منها المراهقون نتيجة لانتمائهم إلى جماعة الأقران غير السوية.

استخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وقد تكونت عينة الدراسة من المجموعة الأولى وقوامها(خمسون من المراهقين من طلاب المدارس الثانوية المنتمين لجماعة الأقران السوية)، ومن المجموعة الثانية(وقوامها خمسون من المراهقين من طلاب المدارس الثانوية المنتمين لجماعة الأقران غير السوية).

وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:

1- وجود فروق ذات دالة إحصائية بين المجموعتين في متغيري المشكلات السلوكية، والمزاجية.

2- تقول إن جميع الظروف المحيطة بالمراهق تؤكد حاجته إلى الانتماء إلى جماعة أخرى، هي جماعة الكبار، والأسرة -على وجه التحديد- غير مشبعة من هذه الناحية .

وقد أوصى الباحث أنه لا بد من اختيار المراهق لجماعة الأقران السوية؛ حتى تتيح له النمو الاجتماعي السوي بعيداً عن أيّة مشكلات سلوكية أو أيّة اضطرابات مزاجية.

7- دراسة لطفي (2000) بعنوان: " جماعة الأقران ومشكلة التغيب عن الدراسة " دراسة ميدانية كعينة من الطالبات في جامعة الإمارات العربية المتحدة".

أشارت الدراسة إلى أهم العوامل الاجتماعية وغير الاجتماعية، المؤدية إلى تغيب الطالبات عن الدراسة في الجامعة، بالإضافة إلى التعرف إلى بناء ووظائف جماعات الأقران، التي تنتمي إليها الطالبات، وعلاقة هذه الجماعات بمشكلة التغيب.

وقد استخدمت الدراسة المنهج المقارن؛ حيث تم إجراء المقارنات المختلفة بين مجموعتين من الطالبات المتغيبات والطالبات المواظبات، كل مجموعة فيها(229) طالبة. كما تم جمع البيانات اللازمة لهذه الدراسة، عن طريق استمارة المقابلة وتحليل الوثائق والسجلات الموجودة داخل الجامعة.

وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية:-

أ- تزداد الأهمية النسبية للعوامل التي ترجع إلى جماعات الأقران بالنسبة لغيرها من العوامل المؤدية إلى التغيب.

ب- كلما زاد تدعيم عملية الاتصالات، بين أعضاء جماعة الأقران، قلت احتمالات ظهور مشكلة التغيب.

ج- هناك علاقة بين المعايير السائدة في جماعة الأقران وظهور مشكلة التغيب.

د- تزداد احتمالات التشابه في معدلات التغيب بين أعضاء جماعة الأقران .

هـ- هناك علاقة بين التغيب عن الدراسة ومستوى التحصيل الدراسي.

8- دراسة عقل (2002) بعنوان: " أثر التربية الخاطئة والتوجيه الإعلامي والصحبة السيئة في انحراف الأحداث وعلاجه في الشريعة الإسلامية".

تناولت الدراسة بيان مفهوم الانحراف وخطورته، والتوجيه الإعلامي وأثره في انحراف الأحداث وعلاجه في الشريعة الإسلامية، والصحبة السيئة وآثارها في انحراف الأحداث وعلاجها في الشريعة.

وخلصت الدراسة إلى أهم النتائج التالية:-

إن رفاق السوء، والصحبة السيئة، لهم تأثير على أقرانهم؛ لذلك لا بد من توجيه الأبناء وتنبيههم إلى مخاطر هذه الصحبة وأثرها السيئ، وحسن اختيار الصاحب المؤمن.

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

أ- أن يقوم الآباء بتقديم التوجيهات والنصائح لأفراد الأسرة بين الحين والآخر، وتذكيرهم بمراقبة الله ﷻ لهم.

ب- أن يوجه الآباء الأبناء إلى حسن الصحبة في البيت؛ فيوصيه بأن يصحب هذا ولا يصحب ذاك.

ج- أن يوجه الأبناء إلى صحبة حسنة من أبناء الحي يلتقي معهم على الدوام في أوقات الفراغ.

د- أن يوجه الأب أبناءه إلى صحبة حسنة في المسجد؛ لأن رواده غالباً يتمتعون بصفات إيمانية عالية.

هـ- يوجه الأب أبناءه إلى صحبة حسنة في المدرسة.

و- يحرص الأب على السكن في حي إسلامي يتصف أهله بالخلق والدين؛ لأن الطفل يتأثر بما يسمع وما يرى من حوله.

9- دراسة مخيمر(2003) بعنوان: " الرفض الوالدي ورفض الأقران والشعور بالوحدة النفسية في المراهقة".

هدفت الدراسة إلى فحص العلاقة بين إدراك الرفض الوالدي، ورفض الأقران والشعور بالوحدة النفسية لدى عينة من المراهقين، ومعرفة دور التأثير المشترك للرفض الوالدي ورفض الأقران على الشعور بالوحدة النفسية لدى المراهقين والمراهقات.

وقد تكونت عينة الدراسة من (295) مراهقاً ومراهقة، منهم (147) مراهقاً(متوسط أعمارهم 14 سنة) و(148) مراهقة متوسط أعمارهن 14.7 سنة، وطُبقت عليهم استبانة القبول والرفض الوالدي واستبانة قبول ورفض الأقران، ومقياس الوحدة النفسية.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:-

أ- وجود ارتباط موجب دال إحصائياً بين الرفض الوالدي والشعور بالوحدة النفسية لدى المراهقين والمراهقات.

ب- وجود ارتباط موجب دال إحصائياً بين رفض الأقران والشعور بالوحدة النفسية لدى المراهقين والمراهقات.

ج- وجود ارتباط موجب دال إحصائياً بين القبول الوالدي وقبول الأقران وبين الرفض الوالدي ورفض الأقران.

د- تزايد الشعور بالوحدة النفسية بفعل التأثير المشترك للرفض الوالدي ورفض الأقران لدى المراهقين والمراهقات.

ولقد أوصت الدراسة بما يلي:

أ- على الآباء أن يدركوا أن رفضهم للأبناء سوف يضر الصحة النفسية للأبناء مستقبلاً، ويقلل من قدرتهم على إقامة علاقة اجتماعية بأقرانهم، بل وبأبنائهم مستقبلاً.

ب- يجب تصويب الأفكار اللاعقلانية الخاطئة لدى الأبناء، مثل: "ينبغي أن يكون الفرد محبوباً من كل الناس"، "لا يوجد أحد يهتم بي"؛ لأن هذه الأفكار تزيد من الشعور بالوحدة النفسية والاكتئاب.

ج- يجب تعليم الأبناء المهارات الاجتماعية اللازمة للتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، خاصة في مرحلة المراهقة، كما يجب تعليم الأبناء تنظيم الانفعالات، والتحكم فيها، ومراعاة شعور الآخرين، ومساندتهم عند الحاجة.

10- دراسة قطامي (2006) بعنوان: " الصداقة عند أبناء الأمهات العاملات في مدينة عمان وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات".

استهدفت الدراسة التعرف إلى مستوى درجات الصداقة عند أبناء الأمهات العاملات في مدينة عمان، وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات(الترتيب الولادي، وحالة الأب والصف).

ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة تم اختيار (408) أطفال بطريقة عشوائية، وتم بناء أداة لقياس درجات الصداقة لأبناء الأمهات العاملات، تتصف بدلالات سيكومترية مناسبة، لأغراض الدراسة، وقد صممت الأداة (64) فقرة، وتم التوصل إلى دلالات بلغت (87 %) كما تم إجراء التحليلات الإحصائية المناسبة؛ إذ تم استخدام تحليل التباين الثلاثي، وتم التوصل إلى وجود فروق في مستويات درجات الصداقة وفق كل متغير بمفرده.

وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية:-

أ- تدني مستوى درجات الصداقة المقاسة بالمقياس المطور.

ب- تحسن مستوى درجات الصداقة لدى أبناء الأمهات العاملات من آباء أحياء بمقارنة مع الأطفال من آباء متوفين.

ج- وأيدت نتائج الدراسة فرضية أن الصداقة ظاهرة معرفية اجتماعية تنمو وتتطور، مع العمر.

د- وبرز تمايز الحاجات التي تشبعها الصداقة في الأعمار المختلفة، فتتمايز الحاجات والمهارات الاجتماعية، المتطورة والمتغيرة، التي يميل الطفل إلى إتباعها، مما جعل الأطفال الأكبر عمراً، أكثر وضوحاً في سلوكياتهم نحو إقامة العلاقة مع الأطفال الآخرين.

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

أ- زيادة الاهتمام بتطور المعرفة الاجتماعية والنفسية لدى الأطفال في أعمار مختلفة، وبشكلٍ خاص أطفال السنوات المبكرة، الذين تتطلب دراستهم جهداً منظماً وتكنيكاً بحثياً متقدماً، وإن ذلك يساعد في التخطيط لتربية وتنشئة شخصيات متعاونة ذات اتجاهات إيجابية نحو الرفاق.

ب- كما إن الأطفال الأيتام من أبناء الأمهات العاملات يفتقرون إلى خبرات غنية تساعدهم على تعويض ممارسات النماذج التي فقدوها جراء الموت أو الغياب الدائم؛ لذلك فإن توفير مثل هذه النماذج وتنظيم تفاعل الأطفال مع هؤلاء النماذج يزودهم بخبرات عوضية تساعدهم في النمو السوي.

التعقيب على الدراسات السابقة:

أكدت معظم هذه الدراسات في توصياتها على ما يلي:-

2- التقت معظم هذه الدراسات مع هذه الدراسة على أهمية الصحبة، باعتبارها ضرورة ملحة للبشرية ودوام العلاقات الاجتماعية.

3- أكدت على ضرورة الاهتمام بعلاقة الصحبة بالنسبة للوالدين وإمعان النظر في اختيار الصاحب الصالح.

4- هناك تأثير واضح من قبل الأقران على سلوكيات بعضهم البعض، ما يدعو إلى زيادة التوعية لمفهوم وآداب تلك الصحبة، وخطورتها أيضاً.

اختلفت هذه الدراسات في نقاطٍ عدة:-

1- هناك اختلاف واضح في المنهج المستخدم، فمنها: الوصفي والتجريبي والتحليلي.

2- جميع هذه الدراسات، التي اطلعت عليها الباحثة، تختلف عن الدراسة التي تناولتها؛ حيث إن كل دراسة تناولت مضموناً تربوياً من زاوية معينة وركزت عليه، في حين أن هذه الدراسة تناولت جملة من المضامين المستنبطة من خلال الكتاب والسنة والفكر التربوي الإسلامي، التي لم يتناولها أحد بدراسته.

وتميزت الدراسة الحالية بما يلي:

1- الكثير من الدراسات التربوية الإسلامية، لم تنظر إلى موضوع المفاهيم، ولم تدرس هذا الموضوع بشكله المتكامل من جميع زواياه، رغم أهميته.

2- مساهمتها في تأصيل مفهوم الصحبة، وبيان أهميتها، ودراسة مقوماتها، واستنباط أهم الآثار التربوية العائدة من الصحبة.

3- اعتمادها أنماطاً عديدة للصحبة، حيث كانت علاقة بين: الزوج والزوجة، الآباء وأبناءهم، المعلم والمتعلم، الأصحاب فيما بينهم.

4- اعتمادها على الاستنباط من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

مدى استفادة الباحثة من الدراسات السابقة.

لم تكن دراسة الباحثة وليدة اللحظة، لكنها ثمرة من ثمرات تلاقح الأفكار والاطلاع المتمــرّس، والممارسة والتكامل مع دراسات سابقة؛ لذلك:

1- ساعدت الباحثة على بناء خطة الدراسة.

2- من خلالها وقفت الباحثة على مناهج متعددة في كيفية استنباط المضامين التربوية.

3- ومن الملاحظ أن معظم الدراسات السابقة، التي كانت ذات صلة مباشرة بموضوع الدراسة، كانت دراسات ميدانية على فئات معينة، لتقيس بعض الجوانــب، ومــدى تــأثير الــصحبة والأقران على بعض المتغيرات.

ويظهر في استعراض الدراسات السابقة ذات العلاقة، عدم وجــود دراســة عــن هــذا الموضوع؛ ولذا اعتبرت هذه الدراسة من أوائل الدراسات التي تناولت الكشف عــن الــدلالات التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دراسة تحليلية، في الدراسات المحلية.

الفصل الثاني

مفهوم الصحبة في ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة

أولاً: مفهوم الصحبـــــة.

ثانياً: الصحبة والصحابة.

ثالثاً: أهمية الصحبـــــة.

رابعاً: أنماط الصحبـــــة.

أولاً : مفهوم الصحبة:

لما كان موضوع الدراسة هو الصحبة، وما يؤدي معناها، كلفظ "صديق" و"خليل" و"قرين ...الخ، كان لا بد أن نبحث عن أصل الكلمة في القرآن الكريم، حيث أنزله الله (تعالى) قرآناً عربياً، وهو بوجه من وجوهه المرجع اليقيني الأوحد للغةِ العربية؛ لأنه كلام الله العالم علماً يقيناً بأدق خفايا هذه اللغة، وأعمق أسرارها. وبتلاوتنا للقرآن الكريم، يتبين أنه قد شَمِلَ كلمات مثل: "تصاحبني، وصاحبهما، وصاحبه، وصاحبته، وأصحاب، وأصحابهم ". وأن هذه الكلمات تكررت بمجموعها في القرآن الكريم(97) مرة، ومن المثير للانتباه، أننا لم نعثر في القرآن الكريم كله على لفظ لكلمتي (صحابة / بالفتح، أو صحبة / بالضم) .

فدلالة هذا أن الصحبة يمكن أن تأخذ وجهاً واحداً أو صورة واحدة، ويمكن أن تأخذ وجوهاً أو صوراً متعددة، ويمكن أن يكون لها وجه أمثل يشمل كل نواحي الخير، وقد يكون لها وجه أبشع يشمل كل نواحي الشر.

فمحور الصحبة (بالضم) محور شمولي يرتكز على عقيدة وقيادة وأهداف ومثل عُليا، يسعى القائد وأصحابه لتحقيقها وسيادتها على مجتمع معين.

أ- الصحبة لغة:

يقال :صحبه يصحبه صحبة (بالضم) وصحابة (بالفتح)، وصحابة(بالكسر) عن الفراء وحده.

وجمع (الصاحب):

- صحب، كـــ : راكب وركب.
- صحبة، كـــ : فاره وفرهة.
- صحاب، كـــ: جائع وجياع.
- صحبان، كـــ: شاب وشبان.

والأصحاب: جمع(صحب) كـ : فرخ وأفراخ، والصحابة: الأصحاب، وهي في الأصل مصدر، وجمع الأصحاب: الأصاحيب، ومادة هذه الكلمة(ص.ح. ب) أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته، والأصل أن الصاحب هو الملازم، إنساناً- كان- أو حيواناً، أو مكاناً، أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن- وهو الأصل والأكثر- أو بالعناية والهمة، ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته.(الرازي،1995،ج1: ص149)

ومن هذا القبيل يطلقون على العاصي- صاحب المعاصي- لملازمته لها. كما يطلق على أفراد مجتمعين متلازمين بحكم الغالب، سواء أكان الجامع لهم عقيدة، أو زمان، أو مكان، أو حدث، أو كانوا أتباعاً لمتبوعٍ واحد، أو نحو هذا

فلقد ورد مفهوم الصحبة لغة كالآتي:

1- **الجامع هنا العقيدة،** مثل: أصحاب الجنة، وأصحاب النار، وأصحاب الأعراف، وأصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، وأصحاب الصراط السوي، وأصحاب السعير، وأصحاب الجحيم.

2- **والجامع هنا الزمان،** مثل: أصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل.

3- **والجامع هنا المكان،** مثل: أصحاب السفينة، وأصحاب الرس، وأصحاب الأيكة، وأصحاب مدين، وأصحاب موسى، وأصحاب القرية، وأصحاب الكهف، وصاحبي السجن، وأصحاب القبور... وغير هذا في القرآن الكريم وفي السنة، وفي اللغة عامة.

ويقال لمالك الشيء: هو صاحبه، وقد يضاف إلى مسوسه، نحو: صاحب الجيش، وإلى سائسه: نحو صاحب الأمير. (ابن زكريا، 1999، ج3: ص335)

وقال صاحب البصائر: قد ورد "الصاحب" في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى الجنسية، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**﴾ [التَّكوير:22]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ [الأعراف:184]،

وقوله سبحانه: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾ [النَّجم:2]، أي الذي من جنسكم وملّتكم.

وقال ابن تيمية:" ذكره باسم الصاحب لما في ذلك من النعمة به علينا؛ إذ كنا لا نطيق أن نتلقى إلا عمن صحبناه وكان من جنسنا ". (ابن تيمية، ب.ت، ج12: ص270)

كما أن فيها معنى آخر، وهو: أنه صاحبكم، قد نشأ بينكم، وتعرفون خلقه وصدقه وأمانته، وتعلمون بأنه ليس بساحر أو كاهن أو مجنون، فلا ينبغي أن تفتروا عليه أو تكذبوه، والمقصود -هنا- أنكم أولى الناس بتصديقه واتباعه؛ لأنكم صحبتموه وعرفتموه.

الثاني: بمعنى حقيقة الصحبة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾

[**التوبة:40**]، يعني أبا بكر في الغار؛ إذ أنه كان يصاحبه، أي ملازمه في الغار، وبذل من ماله ونفسه لأجل صاحبه، وتجلت معاني الأخوة والإخلاص في هذا الموقف.

الثالث: بمعنى السكنى، وفراغ البال، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ [يس:55]، أي سكانها والمقيمين فيها.

الرابع: بمعنى المرافقة والموافقة، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا عَجَبًا**﴾ [**الكهف:9**]؛ إذ إن ما يجمعهم هنا هو شيء واحد، الإيمان بالله، حتى أن فروا بدينهم خوفاً من بطش أعداء الله، وأعداء الدين.

الخامس: بمعنى التصرف والاستيلاء، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً**﴾ [المدَّثر:31]، أي الموكلين بها، المتصرفين فيها، لا المعذبين بها. (الفيروز آبادي، ب.ت، ج1: ص467)

ومن معاني مادة (صحب) حفظ وأجار ومنع، كما في قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ آَلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾.[الأنبياء:43]

ومعنى الآية: أن الله (تعالى) ذِكْرُه يقول: ألهولاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللنا بهم العذاب، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا؟ ثم وصف (جل ثناؤه) الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال: وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها. (السيوطي وآخرون، ب.ت، ج1: ص424)

(**ولا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**) عن قتادة: معناه: لا يصحبون من الله بخير، وعن مجاهد: ولا هم يحفظون، وقال ابن عباس: يمنعون، وعنه : يجاورون؛ والعرب تقول: أنا لك جار وصاحب من فلان؛ أي مجير منه، وقال الشاعر:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ليصحب منها والرماح دوانِ

وقال –أيضاً– أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك هذا الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن (هم) من قوله (**ولا هم**) من ذكر الكفار، وأن قوله(**يصحبون**) بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها: أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا. (الطبري،1984،ج17: ص30–31)

ب- الصديق:

الصديق، جئنا بها مرادفة للصاحب، فهي لفظ نذكره كثيراً في حياتنا اليومية، فبعد الكشف بين السطور في المعاجم وجدنا ما يلي:

يقال: صدق يصدق صدقاً، ويقال أيضاً: صدقه الحديث، وتصادقا في الحديث، وفي المودة والصداقة، والمصادقة: المخاللة، والرجل صديق، والأنثى صديقة، والجمع أصدقاء. (الرازي،1995،ج1: ص151)

ويقول الله ﷻ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء:101]، فالصديق -هنا- كما يتبين لحقت به صفة الحميمية، حيث نعته الله بحميم، لما يكون عليه الأصدقاء من مودة في الدنيا، ومحبة وتعلق ملموس من جميع النواحي.

ومادة هذه الكلمة(ص.د.ق) أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، ومن ذلك الصدق خلاف الكذب؛ سمي لقوته في نفسه؛ ولأن الكذب لا قوة له، وهو باطل، وأصل هذا من قولهم: شيء صدق، ورمح صدق: أي صلب، والصداق: صداق المرأة، سمي بذلك لقوته؛ وأنه حق يلزم، والصداقة مشتقة من الصدق في المودة، والصداقة: صدق الاعتقاد في المودة، وذلك مختص بالإنسان، ولفظ الصديق يقتضي شدة مساهمة ونصرة، وهو فعيل من صدق الود.(ابن زكريا،1999 ،ج3: ص340)

وقيل: إنما سُميّ الصديقُ صديقاً لصدقه، والعدو عدواً لعَدْوِه عليك، أي تجاوزه وتعديه عليك. (الماوردي، 1978: ص163)

فيما سبق يتضح أن المعاني كلها تصب في أن كلمة الصديق تعني قمة في القوة والصلابة والصدق، فهي دلالة لقوة ومدى متانة تلك العلاقة- الصداقة- التي تستحكم فيها المودة بصدق بين شخصين، فتكون بمثابة عقد متين لا يمكن أن ينفك إلا بقوة أكبر.

جـ - الخليل:

لا بد لنا -بداية- أن نبحث في المعاني اللغوية لذلك المصطلح- الخليل- في المعاجم، لنجد الآتي:

يقال: خل الرجل، وأخل به: احتاج، ورجل مخل، ومختل، وخليل، وأخل: معدم فقير، واختل إليه: احتاج، والخلة(بالفتح) :الحاجة، والخصلة، والفقر، والخلل: هو الفرجة بين الشيئين، وجمعه خلال، نحو: خلل الدار والسحاب وغيره، والخلة: الصداقة المختصة التي لا خلل فيها تكون في عفاف الحب.

والخلة (بالكسر): أي المصاحبة والأخلاء، والخل(بالكسر، والضم): الصديق المختص، والجمع: أخلال، والخليل من أصفى المودة وأصحها.

ومادة هذه الكلمة(خ.ل.ل) أصل واحد يتقارب فروعه، ومرجع ذلك إما إلى دقة، أو فرجة، والباب في جميعها متقارب، فالخلال واحد الأخلة، ويقال: فلان يأكل خلله، وخلاته: أي ما يخرجه من أسنانه، فأما الخليل الذي يخاللك فمن هذا أيضاً، فكأنما تخاللتما كالكساء الذي يخل. (الرازي، 1995،ج1: ص 79)

وقال ثعلب: "إنما سمي الخليل خليلاً، لأن محبته تتخلل القلب، فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته."

وأنشد الرياشي قول بشار:

قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليل

(الماوردي، 1978: ص 163)

وفي قوله ﷻ: ﴿**الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[الزُّخرف:67}، أي بمعنى الأصحاب، الرّفاق الذين كانوا متلازمين في الدنيا، سيلتقون ويجمعوا يوم القيامة، ويكونوا على شاكلتين: إما أعداء، وهم من كانوا يجتمعون على معصية الله تعالى، وإما يلتقون ويجتمعون على المحبة التي كانوا عليها، وهؤلاء هم المتقون.

فعن علي بن أبي طالب ﷺ في تلك الآية السابقة أنه قال: " خَلِيلانِ مُؤْمِنَانِ وَخَلِيلانِ كَافِرَانِ فَتُوُفِّيَ أَحَد الْمُؤْمِنَيْنِ وَبُشِّرَ بِالْجَنَّةِ فَذَكَرَ خَلِيله فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا خَلِيلِي كَانَ يَأْمُرنِي بِطَاعَتِك وَطَاعَة رَسُولك وَيَأْمُرنِي بِالْخَيْرِ وَيَنْهَانِي عَنْ الشَّرّ وَيُنَبِّئنِي أَنِّي مُلَاقِيك اللَّهُمَّ فَلا تُضِلّهُ بَعْدِي حَتَّى تُرِيه مِثْل مَا أَرَيْتنِي وَتَرْضَى عَنْهُ كَمَا رَضِيت عَنِّي فَيُقَال لَهُ اِذْهَبْ فَلَوْ تَعْلَم مَا لَهُ عِنْدِي لَضَحِكْت كَثِيرًا وَبَكَيْت قَلِيلا قَالَ ثُمَّ يَمُوت الآخَر فَتَجْتَمِع أَرْوَاحهمَا فَيُقَال لِيُثْنِ أَحَدكُمَا عَلَى صَاحِبه فَيَقُول كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ نِعْمَ الأخ وَنِعْمَ الصَّاحِب وَنِعْمَ الْخَلِيل وَإِذَا مَاتَ أَحَد الْكَافِرَيْنِ وَبُشِّرَ بِالنَّارِ ذَكَرَ خَلِيله فَيَقُول اللَّهُمَّ إِنَّ خَلِيلِي فُلانًا كَانَ يَأْمُرنِي بِمَعْصِيَتِك وَمَعْصِيَة رَسُولك وَيَأْمُرنِي بِالشَّرِّ وَيَنْهَانِي عَنْ الْخَيْر وَيُخْبِرنِي أَنِّي غَيْر مُلاقِيك اللَّهُمَّ فَلا تَهْدِهِ بَعْدِي حَتَّى تُرِيَه مِثْل مَا أَرَيْتنِي وَتَسْخَط عَلَيْهِ كَمَا سَخِطْت عَلَيَّ قَالَ فَيَمُوت الْكَافِر الآخَر فَيُجْمَع بَيْن أَرْوَاحهمَا فَيُقَال لِيُثْنِ كُلّ وَاحِد مِنْكُمَا عَلَى صَاحِبه فَيَقُول كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِئْسَ الأَخ وَبِئْسَ الصَّاحِب وَبِئْسَ الْخَلِيل". (البيهقي، 2003، ج12: ص47)

ويقول أبو السعود: والخلة:

- من الخلال، فإنه ود تخلل النفس وخالطها.
- وقيل من الخلل، فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر.
- أو من الخل، وهو الطريق في الرمل، فإنهما يتوافقان في الطريقة.
- أو من الخلة، بمعنى الخصلة، فإنهما يتوافقان في الخصال.

(العمادي، ب.ت، ج2: ص236)

ولقد انفرد بتلك الخلة الخليلان فقط، وهما إبراهيم ومحمد –عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم– حيث قال الله (تعالى) عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** ﴾ [النساء:125]، أي صفياً، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة وفي ذلك تشريف لإبراهيم وترغيب في اتباعه. (الكلبي،1983،ج1: ص159)

وقال ﷺ :" **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**." (البخاري،1987،ج1: ص178)

حتى أن الصداقة تتفاوت، فإنها إذا قويت صارت أخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت خلة، والخليل أقرب من الحبيب، فالمحبة ما تمكن من حبة القلب، والخلة ما تخلل سر القلب، فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلاً، وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة و التجربة، فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة . (الغزالي، ب.ت: ص93)

فيما سبق يتضح أن الخليل –أيضاً– ترادف مفهوم الصحبة، والصداقة، فالخلة هي صحبة ومحبة تتخلل إلى القلوب، فتجعل صاحبها يلين ويرق قلبه إلى صاحبه، فيلزمه حباً في معاشرته، وحرصاً منه على دوام تلك العلاقة.

د – القرين:

وجاء لفظ القرين في القرآن واللغة على معانٍ عدة، على النحو التالي:

يُقال: هو على قرني: أي على سني، والقرن في الناس: أهل زمان واحد، قال الشاعر:

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم   وخلفت في قرن فأنت غريب

والقرن: كفؤك، وقرن بين الحج والعمرة: جمع بينهما، وقرن الشيء بالشيء: وصله به، وبابه:ضرب ونصر، واقترن الشيء بغيره، وقارنته قراناً: صاحبته، والقرين: الصاحب، وقرينه الرجل: امرأته، يقول ابن فارس:

القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع الشيء إلى شيء، والآخر شيء ينتأ بقوة وشدة، والقرينة: نفس الإنسان؛ كأنهما قد تقاربا. (الرازي، 1995، ج1: ص222)

ويقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارنِ يقتدي

(القرشي، ب:ت، ج1: ص153)

فجاء القرين في القرآن لأربعة معان:

الأول: بمعنى الشريك والمعين، كما في قوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا**﴾ [النساء:38] وقوله (تعالى) أيضاً: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ**﴾ [الزُّخرف:38]، أي المعين، المساعد.

الثاني: بمعنى الكرام الكاتبين، كما في قوله (تعالى): ﴿**قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾ [ق:27]، وقوله (تعالى): ﴿**وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ**﴾ [ق:23]

الثالث: بمعنى الشياطين الموسوسين، كما في قوله (تعالى): ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ [فصّلت:25] ،وقوله (تعالى): ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزُّخرف:36]، أي موسوس.

الرابع: بمعنى الشياطين تحت تسخير سليمان عليه السلام مقيدين، كما في قوله (تعالى): ﴿**وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾ [ص:38]. (الفيروز آبادي، ب.ت، ج1: ص 1256)

وقامت الباحثة بتتبع مفهوم القرين، فتبين أنه يؤدي مفهوم الملازمة والمصاحبة، حيث: المعنى الأول، فمن صفات الشريك أو المعين أن يكون ملازماً لشريكه أغلب الأوقات، بل ومؤثراً فيه، حيث المعين يجب أن يكون مطلعاً على مجمل أحواله، كمثل الصاحب.

أما المعنى الثاني، فهم الكرام الكاتبون، بأن كل إنسان له رقيب عتيد مـن الملائكـة كـي يسجل له كل همزة ولمزة، كل حسنة وهفوة، فمن صفاته –أيضاً– أن يكون ملازماً طوال الوقت بل ومراقباً له طوال الوقت ولا يغفو عنه طرفة عين.

والمعنى الثالث، وهو الشياطين والموسوسون، فكانت تسبقها كلمة "قيضنا" كما فسرها السمرقندي وقال:" قيض يعني سلط ويقال قيض بمعنى قدر".(السمرقندي، ب:ت، ج3: ص213)

والشيء المسلط يكون أيضاً ملازماً لصاحبه طوال الوقت.

كما في المعنى الرابع، مقرنين أي مقيدين لخدمة سليمان عليه السلام، فالخدم أيضاً مصاحبون لرئيسهم؛ ليعملوا على راحته وتلبية طلباته طوال الوقت.

أما عن الصحبة في الاصطلاح:

لم تجد الباحثة تعريفاً واضحاً لمصطلح الصحبة، لكن هناك بعض التعريفات لمرادفاتها سوف تستعرض بعضاً منها:

الأصدقاء: هم الجماعة التي تتمثل في أعضاء متفقين في السن والجنس، ويتعامل كل منهم مع الآخرين على أساس المساواة والمشاركة الوجدانية والتقارب في الميول، فالأصدقاء جماعة أكثر ارتباطاً ومشاركة، ولها إمكانات وأوضاع اجتماعية متشابهة، تربطها أمور عدة، مثل: النمط السلوكي والتفاعل الكبير بين أعضائها. (عيسى، 1997: ص175)

جماعة الأقران: ويعرفها كل من" عبد الرحمن سليمان، وسميحة كرم" بأنها: " تلك الجماعة الرسمية، أو غير الرسمية التي تتكون من أعضاء يمكن أن يتعامل أفرادها مع بعضهم بعضاً على أساس المساواة والتكافؤ، ولها بنية اجتماعية متميزة خاصة بها، كما أن لها وظائفها التي تؤديها لأعضائها". (سليمان و كرم، 1997: ص82)

ثانياً: الصحبة والصحابة:

كان أشرف لقب في الإسلام هو لقب (الصحابي)، وهو من لقي النبي وآمن به، وتشرف بصحبته. " فالصحابة بأسرهم طبقة أولى والتابعون طبقة ثانية وأتباع التابعين طبقة ثالثة وهلم جرا." (ابن الحسين، 1969، ج1: ص466) ولقد كانوا الصحابة فيما بينهم يدركون حق اليقين ما للصحابة من قيمة ومنزلة. وأيضاً يتفاوتون الصحابة فيما بينهم في الفضل بمقدار صدق صحبتهم للنبي وعمق محبتهم له، وشدة إخلاصهم في خدمته، وقد حصل على النصيب

الأوفى من هذه الأفضلية من قال الله (تعالى) في حقه: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [**التوبة:40**]، وكان أبو بكر بفضلِ هذه الصحبة المشرفة، الخليفة الأول لسيد النبيين؛ لذلك كان لا بد أن نستعرض مفهوم الصحابة وعلاقته بالصحبة موضع الدراسة .

فمعنى الصحابة لغة:

قد يتوافق تماماً مع ما تم عرضه سابقاً، في المعنى اللغوي للصحبة، في قواميس اللغة الأصحاب، الصحابة، صحب، يصحب صحبة " بالضم " وصحابة " بالفتح "، صاحب أي عاشر، رافق، جالس، انقاد، شايع. والصاحب هو المعاشر أو المنقاد، أو المجالس أو المشايع، أو المرافق، أو القائم على الشيء، أو الحافظ له.

ويطلق –أيضاً– على كل من تقلد مذهباً، فيقال: أصحاب الإمام جعفر، وأصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي . . . إلخ . يقال: اصطحب القوم أي صحب بعضهم بعضاً، واصطحب البعير أي انقاد له.(ابن منظور، ب.ت، ج 1 : ص 915)

أما عن الصحابة في الاصطلاح:

إن العرف المتداول بين الناس أنهم لا يُطلقون لفظ الصّحبة، إلاّ على من عُرِف بصحبة الإنسان ودام معه أو اشتهر بصحبته. كما يقال: عَلْقَمة صاحب ابن مسعود، وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة، والمُزَنّي صاحب الشّافعي.

فنجد من العلماء من أيّد هذا الرأي، فقيل: إن سعيد بن المسيب كان لا يَعدُّ الصَّحَابيَّ إلا من أقام مع النبيِّ ﷺ سنة أو سنتين، أو غزا معه غزوة أو غزوتين.

ونجد آخرون، لهم رأياً مخالف قليلاً فقالوا: كل من أدرك الحُلْمَ وقد رأى النبيِّ ﷺ وعقل أمر الدِّين فهو من الصحابة، ولو أنه صحب النبيَّ ﷺ ساعة واحدة. (ابن الأثير، 1972، ج12: 118)

ويقول ابن حجر العسقلاني الشافعي بالحرف: " الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام ". (ابن حجر، 1992، ج1: ص6)

توضيح ابن حجر لهذا التعريف:

1 – فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت .

2 – من روى عنه أو لم يرو.

3 – من غزا معه أو لم يغز.

4 – من رآه ولو لم يجالسه.

5 – من لم يره لعارض كالعمى. (ابن حجر، 1992، ج1: ص6)

ويخرج بقيد الإيمان " مؤمناً به "

وكان هناك اختلافات في آراء العلماء، حول تحديد من هو الصحابي، ولا نريد التوغل في تلك الملابسات والأمور؛ لأنها ليست موضع دراستنا الآن.

فبعد اطلاع الباحثة على مفهوم الصحابة، وتوضيح من هو الصحابي، وعلى من يطلق هذا المصطلح(الصحابي) تبين أن الشرط الأساسي لمن ينال هذا اللقب، أن يكون ملازماً أي مصاحباً، ومقترناً بالرسول طوال الوقت، يتعلم منه القرآن والعبادات والأخلاق الحميدة، وغيرها من الأمور الاجتماعية، التي تعين على قضاء أمور الدنيا، فكلما التزم الصحابي برسول الله مدة أطول كان أصدق في المودة، وحتى عندما كان يأخذ عنهم الأثر، وهذا ما انطبق على الصدّيق ﵁ الذي أول من آمن برسول الله ﷺ وصدقه، وعمل على هديه؛ لذلك كان أول خليفة للمسلمين. وقد قامت الباحثة باستعراضه كنموذج صادق للصحبة والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

الصحابة والرسول ﷺ:

صحابة رسول الله ﷺ هم من تربوا في مدرسته، وجلسوا إليه، واستمعوا منه، فتشربوا منه ﷺ، الخلق الحسن، وساروا إلى سنته، ونهجوا نهجه، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه. كما قال الله (تعالى) في كتابه عنهم: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾. [التوبة:100]

صحبة أبي بكر الصديق ﵁ مع رسول الله ﷺ كأنموذج:

صَحِبَ أبو بكر الصديق ﵁ النبي ﷺ من حين أسلم، إلى حين توفي، ولم يفارقه سفراً ولا حضراً، إلا فيما أذن له في الخروج فيه من حج وغزو، وكفاه فخراً أنه حاز شرف الصحبة في الغار لرسول الله ﷺ، حيث قال (تعالى): ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ**

حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40]، هنا وفي هذه الشدة والمحنة، إنما هي اختبار لصبر ووفاء أبي بكر الصديق ﷺ وثباته عند الشدائد، وعدم تخليه عن رفيق دربه.

وكان أبو بكر الصديق ﷺ أحب رفيق لرسول الله ﷺ وقد قال النبي ﷺ في تعظيمه: " **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي** ". (البخاري،1987، ج1: ص178)

ويتضح ذلك -أيضاً- في حادثة الإسراء والمعراج عندما سُئل أبو بكر الصديق ﷺ : "**هل تصدق قول محمد بخبر الإسراء؟**" فكان ﷺ رده كالسهم المبارك الذي لا يخطئ هدفه، قال: "**لقد صدقته في خبر السماء (الوحي) أفلا أصدقه في خبر كهذا !**". (عاشور،1997، ج15: ص12)، فهكذا تكون الصحبة القدوة، وهكذا يكون امتزاج المشاعر وتوحد القلوب والعقول.

ثالثاً: أهمية الصحبة:

الإنسان اجتماعي بطبعه ويتوق للصحبة ولا يمكنه الاستغناء عنها، حيث الصحبة تعد من الأمور المهمة في حياة الشباب، بل في حياة كل منا، مهما كان عمره، أو جنسه؛ إذ يقول الله (تعالى) في محكم التنزيل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**. [الحجرات:13]

حيث تشعر الإنسان بالتوافق النفسي والتكيف مع البيئة المحيطة، وتلبي احتياجاته النفسية والاجتماعية؛ فهي ساحة غنية بالخبرات والتجارب وصقل القدرات من خلال الانتماء للجماعة ومشاركة الآخرين. وتوفر الصحبة الأنس والاطمئنان النفسي، والشعور بالأمان والمشاركة الوجدانية، والإفصاح عن الذات وعن بعض المشاكل والهموم، ويلقى الصاحب المساعدة في الشدة، والاكتساب والتنمية، وإعداد الشخص لمواجهة المجتمع؛ إذ يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾**. [الكهف:28]

حيث إن صحبة الصالحين بالذات تعد من أعظم وسائل الثبات على الإيمان، بل إنها مصدر من مصادر الطاقة الإيمانية التي تدفع المرء تجاه السلوك القويم وطاعة الله وحبه وابتغاء رضاه على من سواه.

ومن شروط الصحة النفسية أن يكون للإنسان صداقات؛ والسبب يوضحه (غـــانم:2006) مفصلاً لمفهوم وأهمية الصداقة كما يلي:

أ- الإنسان يثق في صديقه الآخر.

ب- يثق في ذاته، أي تجعل منه إنساناً واثقاً بنفسه .

ج- كما تقوم على مجموعة من الأسس كلها تصب في بوتقة الصحة النفسية للفرد.

د- أن يجد من يشاركه آماله ويبوح له بأسراره.

هـــ- الصداقة تمد الشخص بمعين من المـــساندة الاجتماعيـــة والـــصلابة النفـــسية،وهما عنصران في مسألة عبور الشخص لأزمات الحياة المختلفة، كما يـــشعران الـــشخص بقيمتـــه". (غانم، 2006: ص1)

ويقول علماء الاجتماع: إن الإنسان مدني بطبعه، وربما قيل في اسم "الإنسان" إنه يأنس بغيره؛ ولذلك حينما أراد الله أن يعاقب الثلاثة الذين خلفوا بمنعهم من الأصـــدقاء والأصـــحاب، فكانت عقوبة من فوق سبع سموات ألا يتحدث معهم أحد.

وذكر في هذا الوصف القرآن الكريم: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾. [التوبة:118]

وفي تفسير معاني الآية:

إن هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد، عاقبهم الله من فوق سبع سماوات، بأنْ لا أحـــد يفاوضهم، أو يتحدث معهم، بداية من رسول الله ﷺ، حتى زوجاتهم اللاتي في بيوتهم، حتى كانت النتيجة كما وصفها القرآن الكريم بأدق التفاصيل: بأنهم ضاقت عليهم الأرض برحبها وســـعتها لإعراض الناس عنهم بالكلية، وانقطاعهم عن مفاوضتهم، وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار. (البيضاوي، ب.ت، ج3، ص178)

(وضاقت عليهم أنفسهم)، أي ضاقت عليهم قلوبهم وأنفسهم كلما رجعوا إليها بشيء، لعدم الأنس والسرور، ولاستيلاء الوحشة والحيرة عليهم.(العمادي، ب.ت، ج4، ص109)

ولذلك من مصادرة الفطرة أن ننعزل عن المجتمع، ومن مصادمة الفطرة أن ننطوي عن الـــنفس؛ حيث إن النفس البشرية السوية ترنو إلى الصاحب الوفي.

وهذا ما حثت عليه السنة النبوية الشريفة، حيث قال معلمناﷺ :"**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ** ". (ابن حنبل، 1999، ج9: ص64)

فكان الصبر على الأذى أرحم من العزلة وانطواء الإنسان على نفسه، وما قد ينتج عنها من مضار صحية عليه وعلى أسرته.

ويقول علي بن أبي طالب ﷺ في هذا الشأن: "**الرجل بلا أخٍ كشمالٍ بلا يمين**".

وأنشدوا في ذلك:

وما المرء إلا بإخوانه … كما يقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة … ولا خير في الساعد الأجذم

وقال زياد:" خير ما اكتسب المرء الإخوان فإنهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء". (الأبشيهي، 1986،ج1: ص264)

ويقول الشاعر:

فلا بد من شكوى إلى ذي مروءة … يُسْليك أو ينسيك أو يتوجع

(النويري،2004، ج6: ص79)

حقيقة إن الإنسان أكثر ما يحتاج فيه إلى الصاحب، وقت الشدة، ليساعده ويقف بجانبه، ويستشيره إذا لزم ذلك، ويكون له معواناً على الخير،أو يشكو له همه وهذه من أضعف الأمور، حيث يشكل له قمة المساندة الاجتماعية لتخطي الأزمات.

رابعاً: أنماط الصحبة:

أخذت الصحبة أنماطاً متعددة في حياتنا اليومية، حيث نجد تلك العلاقة الاجتماعية، استحكمت بين شخصين فذابت كل الفوارق، والقيود النفسية، مما يجعل الحياة بشكل أفضل. ولقد أبرز القرآن الكريم أنماطاً مختلفة للصحبة وكان منها ما يلي:-

أ- صحبة الوالدين لأبنائهم :

وهذا النمط قد يأخذ اتجاهين مختلفين، حيث صحبة الوالدين لأبنائهم، وصحبة الأبناء للوالدين. فلقد اعتاد الكثيرون أن يكون الأصحاب من الغرباء، يقدمون كل الأشياء المقبولة والعواطف الطيبة، ولا يكادون يقدمون لأهلهم إلاّ أقل القليل، الأمر الذي يدل على أن المجاملة أحياناً تربط بعض الناس بالآخرين ممن يرجى نفعهم .

ومن المؤكد أنه لو عاملنا أطفالنا بمثل ما نعامل به الغرباء فإن سعادة غامرة تتألق في بيوتنا، وبالمقابل نحن لو عاملنا أصحابنا وأصدقاءنا بمثل ما نعامل به أطفالنا، فإننا سوف نخسر الكثير من الأصحاب والأصدقاء.

فنجد الطفل في سنواته الأولى مغلقاً على نفسه، لا يصاحب أحداً ويمكن أن يصاحب أمه بطريق الولع بها؛ لذا يجب أن تفهم الصحبة والصداقة معه وتقدرها، ويمكن في تلك الفترة، أن يصاحب أباه الذي ثبت أنه يتولع بصوته منذ الولادة بشكل واضح. (السبيعي،2000: ص27)

فمن الواضح –هنا– سبب التعلق والحب، هو طيلة فترة الملازمة، وتودد الأم لمولودها بالعطف والحنان ورعايته لكل ما يحتاج جسمه فسيولوجياً، من طعام وشراب ونظافة دائمة، وما يحتاجه نفسياً من حضنٍ دافئ وحنان، إذ تُشعره بوجودها الدائم والملاصق، وعنايتها به طوال الوقت، ما يحدث ذلك التعلق الملموس لدى كل أم ومولودها؛ حيث إنه – بداية– يتعرف إليها بسماعه دقات قلبها التي تعود عليها وهو جنين يرقد بين ثنايا رحمها، ومن ثم تعود على نفسها وحنانها وعطائها بلا حدودٍ. فيجيء بعدها دور الأب الملاطف الحنون، الذي يلاعب وينزه ويعتني بالطفل ويكون مولعاً به، على قدر اهتمامه وحبه وملاعبته، ومدة ملازمته وصحبته له، حيث أفضل أساليب تربية الأبناء مصاحبتهم وملازمتهم أكبر وقت ممكن لمراقبتهم وتأديبهم أحسن الأدب، حيث يقول رسولنا الكريم ﷺ:" **أَكْرِمُوا أَوْلادَكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ.**" (ابن ماجة، 1982،ج4: ص102) وفي رواية أخرى (**ألزموا أولادكم**) فالمقصود بالإكرام هنا المصاحبة والملازمة، والاقتراب منهم أكبر فترة ممكنة.

ولكن كيف تقوم المصاحبة بين اثنين بينهما فارق كبير ظاهر في السن، والنضج العقلي، والعلم والثقافة مما قد يشكل حاجزاً يعيق عملية المصاحبة...؟ لقد أجاب الرسول ﷺ عن هذا السؤال حين قال" **من كان له صبي فليتصاب له**" (الألباني،1992،ج10:ص163) ومعنى "**فليتصاب له**"، أي ينزل إلى مستواه الصبياني فيتلاطف معه بالقول والفعل، ويعامله باللين والمحبة، ويدخل الفرحة على قلبه، ويقربه منه، ويداعبه ويلاعبه، ويرحمه ويعطف عليه، ويملأ عقله وقلبه بالأمل والبهجة، حيث قال أنس رضي الله عنه: "**ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ وعنه أيضاً قال: كنت مع الصبيان، فمر رسول الله ﷺ فقال:"السلام عليكم يا صبيان**". (الحميدي،2002، ج2: ص655) ولقد دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد عماله، فوجده مستلقياً على ظهره وصبيانه يلعبون حوله، فأنكر عليه ذلك، **فقال عمر**: " **كيف أنت مع أهلك؟ قال: إذا دخلت سكت الناطق!.. فقال له عمر:اعتزل عملنا..فإنك لا ترفق بأهلك وولدك، فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ** (الأبشيهي،1986،ج1:ص 279) وصدق عبد الملك بن مروان حين قال:

"لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه". (الوطـــواط، ب.ت: ص 45)

وفي ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه، والأم لابنتها مصاحبة الصديق الناصح الأمين في أخطر مراحل عمره وهي مرحلة المراهقة والشباب، وهو تأكيـــد لمعنـــى: "**أَكْرِمُـــوا أَوْلاَدَكُـــمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ.**" (ابن ماجة، 1982،ج4: ص102) أي الزموهم وصاحبوهم .

إن أسلوب مصاحبة الآباء للأبناء يحقق فوائد كثيرة في تربية الأبناء، نذكر منها ما يلي:

1- **تقريب الفواصل والحواجز بين الأبناء والآباء:**

إن المصاحبة تزيل الفوارق والحواجز الظاهرة المتعلقة بالعمر، والنضج والعلـــم، فـــلا يشعر الأبناء بأي حرج من أن يستشيروا آباءهم فيما يعرض لهم من أمور الدين والحياة، وفـــي ذلك وقاية لهم –أيضاً– من اللجوء إلى الأصحاب الذين ليس لديهم ما للآباء من حكمـــة وأمانـــة وخوف حقيقي على الأبناء، حيث يتهيأ مناخ خصب من الصراحة والثقة المتبادلة.

2- **إعداد الأبناء لقبول التوجيه والنصح :**

إن أسلوب المصاحبة يولد لدى المراهقين والشباب اســـتعداداً نفـــسياً لقبـــول التوجيـــه والنصح، نظراً لهذه العلاقة التي يسودها التفاهم، والمحبة. " فإذا نجح الآباء في إقامـــة صـــداقة بينهم وبين أبنائهم، فإن الوضع سوف يتغير؛ حيث يتسع صدر الابن لنصح الوالـــد الـــصاحب". (محفوظ، 2004: ص129)

فالمعروف أن مرحلة المراهقة والشباب تتسم "بالرغبة في تأكيد الذات" إلى الحـــد الـــذي يتصور معه الابن أنه قادر على تصريف أموره بنفسه، وأنه لا حاجة له إلى نصيحة الوالـــدين، بل إنه يتصور أن نصح الوالدين تدخل في شؤونه فتتحرك فيه قوى المقاومة، فلا يستجيب لـــه، الأمر الذي يجعل الآباء عاجزين عن مساعدة أبنائهم فيما يعتبرونه من واجبهم واختصاصهم.

3- تكشف عن درجة النضج العقلي والنفسي:

إن مصاحبة الأب لابنه تكشف له عن قدراته الحقيقية وعـــن درجـــة نـــضجه العقلـــي والنفسي، وبذلك يستطيع تحديد ما يناسبه، من توجيه أو تكليف، ويتعرف على المواهب الربانيـــة كي يساعده في تنميتها. وتتضح تلك الأهمية وتتجلى في الفترة الحرجة "فترة المراهقـــة"، حيـــث أكثر ما يسبب للمراهقين المشكلات الانفعالية عدم تناسب النضج العقلي مع النـــضج الجـــسمي، فمن الملاحظ أن الجسم لدى المراهق ينمو ويكبر أسرع من النضج العقلي لديه، ما يجعل الآبـــاء ينظرون إلى الجسم الذي نما وكبر، فيتوقعون من الابن نضوجاً في سلوكه العقلي والاجتمـــاعي،

فإذا ما أتى ببعض التصرفات الصبيانية انهالوا عليه بالنقد والتقريع، دون أن يدركوا أنه معـذور ومظلوم، وليس هذا فحسب، بل إن الآباء في الوقت نفسه لا يعترفون بما طرأ عليه مـن نـضج عقلي محدود، فيقاومون محاولاته لتحقيق ذاته ويتهمونه بالقصور الفكري، بل ويحاولون فـرض التوجيهات عليه فرضاً، وهو ما يتصدى الابن لمقاومته ومخالفته .

4- **تعمل على زيادة التحصيل الدراسي لدى الأبناء:**

تعد الأسرة اللبنة الأولى لتكوين شخصية الطفل، فالجو الأسري الدافئ المليء بالمشاعر المتبادلة والاحترام والتشاور، يرجع بالآثار الإيجابية على الأبناء وجميع أفراد الأسرة، مـا قـد يؤثر على جميع الجوانب الوجدانية والاجتماعية، ولا سيما الجانب العقلي المعرفي وبيـان ذلـك الأثر من خلال التحصيل الدراسي، حيث أظهرت الدراسات "وجود تـرابط إيجـابي بـين دفء علاقة الطفل بأبيه وبين تحصيله وتفوقه في المدرسة، كما وجدت علاقة واضحة بـين انحـدار مستوى تحصيل التلميذ الدراسي وبين غياب الأب الطويل عن البيت بسبب الـسفر أو الطـلاق وغيره من الأسباب". (الجبالي،2005: ص85)

لذلك على الآباء والأمهات توفير الجو الأُسري الدافئ، الذي تسوده أجـواء المـصاحبة والحوار الملائمة، لبناء شخصية متكاملة ومتوازنة لدى أبنائنا.

5- **تساعد الأبناء على تكوين علاقات اجتماعية مستقبلية ايجابية:**

لا شك أن وجود الأب والأم الدائم في البيت وتفاعلهما مع أطفالهما ومشاركتهما لهم في أعمالهم الجادة أو اللاهية، ينبه فيهم التفاعلات الاجتماعية المستقبلية تنبيهاً قوياً، ويترك بصمات إيجابية على تلك العلاقات المتوقعة، كما أبرزت نتائج بعض البحوث: " أن الإنسان يعجـز عـن إقامة علاقات إيجابية مع العالم الخارجي إن لم يمارس تلك العلاقات فـي طفولتـه." (الجبـالي، 2005:ص86) حيث جاء في الأمثال:" من شبَ على شيءٍ شاب عليه. فالأسرة هي أهم سـياق اجتماعي تتم من خلاله عملية التنشئة الاجتماعية .

ومن هنا، يقع على عاتق الآباء توجيه أبنائهم نحو الصحبة الحسنة، وإثارة وعيهم علـى كيفية اختيار الصاحب الصالح. فكان لا بد أن يدرك الآباء أن مفهوم الصحبة يختلف بـاختلاف مراحل نمو الأبناء، ويفترض هذا تغييراً في أساليبهم لدعم علاقات الصداقة لدى أبنـائهم، كمـا أوضحت بعض الدراسات " ففي سنوات الطفولة المبكرة تتركز صحبتهم حول المـشاركة فـي اللعب "ما نسميهم رفاق اللعب" كما تفتقد خاصية الاستقرار، أما في سنوات الدراسة فيبدأ الأطفال في تكوين صداقات وثيقة تتسم بتبادل المشاعر الوجدانية".(عبد الحميد، 2002: ص115)

ويتضح فيما سبق أن أطفالنا ليسوا حقلاً للتجارب، نتعلم في الابن الأول، كـي نتفـادى الأخطاء مع الابن الثاني، هكذا هو مفهوم البعض الخاطئ، لكن الصحيح أنـك عنـدما تـشتري جهازاً كهربائياً جديداً لمنزلك تخشى أن تلمسه أو تقوم بتشغيله والتعامل معه، قبل قراءة الكتيـب والتعليمات الخاصة بذلك، خوفاً عليه من العطب. فكيف بفلذات أكبادنا نجرب ونخطئ معهـم!! فلنعرف أولادنا جيداً، من خلال البحث والتعرف إلى خصائص نموهم فـي مراحـل عمـرهم المختلفة، وبصفة عامة جميع الأطفال يحتاجون إلى الحنو والرفق والشفقة، والعمل الجـاد علـى مصاحبتهم طوال الوقت.

6- تقي الأبناء من الأمراض النفسية، ومشاكل الانحراف لديهم:

أطفالنا ما هم إلا وعاء فارغ نصب فيه ما نشاء، فما وضعته ستجده وتجني ثماره، ومـا تزرعه فيهم في صغرهم، وتعلمهم إياه سواء كان بطريقة مباشرة، مثل: عادات وآداب اجتماعية وغيرها، أو بطريقة غير مباشرة، مثل: بعض الأخلاقيات والسلوكيات التي قد يكون تعلمها عـن طريق المحاكاة وتقليد من هم أكبر منهم سناً، وعادة ما يكونون الوالدين، كل هذا يؤثر إما إيجاباً أو سلباً على الصحة والتوافق النفسي لدى الأبناء. ويرجع هذا -أيضاً- إلى مدى تواجد وتواصل الآباء مع أبنائهم وكم هي هذه الفترات. حيث أوضحت بعض الدراسات النفسية وأكدت علـى: " أن صحبة الآباء لأبنائهم تحقـق لـديهم الـصحة والتوافـق النفـسي، والتـوازن الأخلاقـي المرغوب."(الشحود، ب.ت: ص1)

من الملاحظ أن الدراسة ركزت نوعاً ما على الأب ودوره الفاعل في تلك الصحبة مـع الأبناء، وهذا لم يأتِ من فراغ؛ فهناك دراسات كثيرة أظهرت نتائجها أن المنحرفين يأتون مـن بيوت تتصف بالقسوة والمزاجية وبرودة العلاقات وجفائها، وتشير إلى أن المنحـرفين يتـصفون بما يلي:

1- يفتقدون الارتباط العاطفي والدعم من آبائهم.

2- قلة الإشراف والمتابعة.

3- أقرب إلى أمهاتهم .

4- بيوت مفككة. (عقل،2002، ص181)

فحب الولد لأبيه، وتعلق الأب بابنه يؤدي إلى أن يجعل الولد من أبيه الأسـوة والقـدوة الحسنة، وهذا ينتج عنه الالتزام والطاعة، حيث قال الشاعر:" **إن المحب لمـن يحـب مطيـع**". (وزارة الأوقاف،1996، ج36: ص192)

إن المطلوب هنا من الأب أن يضع يده في يد ابنه بالمصاحبة، ويهيئ له الفرصة من جانبه للتعبير عن تلك المشاعر مع قيامه في الوقت نفسه بتوجيهه برفق وأناة وبأسلوب الصديق المخلص والناصح الأمين، وكاتم الأسرار. حيث قال ﷺ: "**إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ ولا يُنْزَعُ من شَيْءٍ إلا شَانَهُ**". (مسلم، ب.ت، ج8: ص22)

وقال أيضاً:" **إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**". (مسلم،ب:ت،ج8:ص22)

فمما لا شك فيه أن العنف لا يأتي بثمار، بل يكون سبباً لأمراض نفسية كثيرة، وأشهرها العناد لدى الأبناء، وزعزعة الثقة بالنفس والآخرين.

ب-صحبة الزوج للزوجة:

منذ بداية خلق الإنسان، آدم ﷺ، خلقه الله (تعالى) وحيداً وأعطاه كل ما تشتهيه العين والقلب، حيث الجنة بنعيمها، ولكنه سرعان ما لج من هذا الرخاء، مستشعراً بوحشة الوحدة، وفقدان الأنيس والجليس الذي يألف إليه، فسبحان الخالق الذي خلق العباد وعرف خصائصهم واحتياجاتهم النفسية والوجدانية، حيث خلق من ضلعه وهو نائم أنيساً يأنس به، حواء، زوجة ليسكن إليها. إذ يقول الله ﷻ: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الرُّوم:**21**] فالمقصد من الزواج هنا هو السكن والراحة، وأن يطمئن كلٍ منهما للآخر، طلباً للراحة النفسية.(قاسم،1990: ص155)

ولقد أمر الله ﷻ الأزواج، بحسن معاشرة زوجاتهم: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [النساء:19] وجاء في التوجيه النبوي الشريف:" **خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**". (ابن ماجة،1982، ج1: ص636)

وقال ﷻ: ﴿ **وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ** ﴾ [النساء:36] والصاحب هنا قيل بأنها الزوجة التي بجانبه. فلقد سمى الله (تعالى) الزوجة في القرآن بالصاحبة: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾. [الأنعام:101](ابن تيمية،1985،ج8: ص382)

وسميت بالصاحبة نظراً لدوام ملازمتها للزوج، وتكون دائماً بجانبه تشاطره أفراحه وأتراحه، تقاسمه حياته بمسؤولياتها، وتربية الأبناء.

وحسن العشرة يكون بالرفق في المعاملة، وأن يبتسم الرجل في وجه زوجته ولا يعبس بدون ذنب وأن يصبر ويتجمل لها كما تتجمل له، وأن يصبر على أذاها.(أبو دف،2006: ص208)

وحسن المعاشرة والمصاحبة ليس مطالباً به الزوج فحسب، وإنما الزوجان على حد سواء : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾. [البقرة:228]

وقد كان رسولنا الكريم ﷺ يزيد على الاحتمال لهن، بالمداعبة والمزاح والملاعبة، فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى عقولهن في الأعمال والأخلاق (حوي،1983:ص529)، حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوماً وسبقها في بعض الأيام، فقال ﷺ: " **هذه بتلك** ". (ابن حنبل،1999،ج43: ص313)

هكذا هو معلمنا وقدوتنا رسول الله ﷺ، وهو أولى الخلق بالاتباع، فكثير من الرجال يخشى على هيبته ووقاره، إذا ما مازح وداعب زوجته وأهل بيته وعاملهم برفق، فها هو رسول الله ﷺ يعلمنا كيف نخطو ونسير في أدق أمورنا.

ج- صحبة المعلم للمتعلم:

إن العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة صحبة، وهذه العلاقة قوامها اللين واللطف وحسن المعاشرة، وتتمثل أهميتها بالنسبة للمتعلم في أن يجد من يقتدي به، وينقل عنه السلوك المرغوب، ويساعده على الفهم؛ لأن من أنفع الطرق في تلقي العلوم الاتصال المباشر بالعلماء والتلقي عنهم. ولقد جاء في الحديث الشريف:" **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**". (ابن حنبل، ب.ت: ص303)

وكما ذكر سالفاً، أن الخلطة والصحبة ضرورة ملحة مع الآخرين، فتكون " ألزم بالنسبة للمعلم، الذي يقوم عمله على العلاقات الإنسانية ويتوقف النجاح فيه، على مدى ما يوفره المعلم من جو نفسي قوامه الحب واللطف" .(الشيباني،1993: ص184)

وقد كان الرسول المعلم ﷺ: " إذا بلغ في مسيره أصحابه، جلس بينهم حيث انتهى به المجلس وكان يمازح أصحابه ويخالطهم، ويداعب صبيانهم ويجلسهم على حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المريض في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر ويبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة." (الخضري،1999،ج1: ص242)

ويصف أبو هريرة رضي الله عنه علاقته بالرسول المربي ﷺ بأنها قائمة على الصحبة والصداقة بقوله: " **أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام.**" (البخاري، ب.ت، ج1: ص204)

وشدد الغزالي على صحبة المعلم للمتعلم لأسبابٍ عديدة:

أولها: أن العلم على المتعلم أفضل حتى في القدر البسيط من العلم.

ثانيها: أن كثيراً من ألوان التعلم تتم بالقدوة، وخاصة في مرحلة الطفولة. (الغزالي، ب.ت، ج1: ص56)

إن على المتعلم أن يبحث عمن يقوي عزيمته ويزيد علمه ويعلي همته، وأن يبتعد عمن ينتزعه من كل ذلك ويجعله إنساناً لا فائدة منه. ومن ناحية أخرى فإن طالب العلم عليه أن يبحث عن العلماء ويأخذ عنهم علومهم مهما بلغت المشقة.

ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام أعظم مثل يبرز في هذا الجانب أدب المتعلم مع المعلم أثناء مصاحبته له: ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾. [الكهف:66]

وموسى عليه السلام يعرض صحبته على العبد الصالح ليكون معلمه، ويكون موسى تابعاً له، حريصاً على العلم، فردّ عليه العالم قائلاً: ﴿ **قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴾. **[الكهف:70]**

حيث تبرز أهم مقومات وآداب تلك الصحبة، والتي تتمثل فيما يلي:

1- **الاستئذان والاحترام:** فالمتعلم عليه أن يستأذن لطلب الصحبة، وعليه أيضاً أن يشعر معلمه بالتعظيم والإجلال.

2- **الاستعداد والحرص:** فلا بد أن يكون لدى المتعلم الحرص والرغبة في طلب العلم.

3- **الصبر:** يحتاج المتعلم للصبر الشديد في مراحل تعلمه الطويلة، وبالصبر يضمن المتعلم الاستفادة من جهود معلمه في توجيهاته.

4- **الطاعة:** يجب على المتعلم أن يكون مطيعاً لمعلمه، صابراً عليه. (الشنطي،1998: ص81)

الفوائد التربوية التي تعود على كلٍ من المعلم والمتعلم من تلك الصحبة والخلطة:

1- تهذيب أخلاق المعلم و المتعلم:

نظراً لطول فترة المصاحبة والملازمة، قد يتشرب المتعلم سلوكيات المعلم دون أن يشعر، فنجده يقلده في أسلوبه بالحوار، آخذاً عنه أخلاقه وصفاته التي يتحلى بها، محاولة منه للاقتداء به. وذكر(أبو دف،2002: ص96) " أنها تساعد المتعلم على اكتساب قيم ومعايير، يجعل منها موازين يزن بها أفعاله."

وأيضاً، عندما يعرف المعلم أنه مراقب من المتعلم طوال الوقت، وأن الأعين معقودة عليه، فسوف يحاول جاهداً إصلاح كل الأمور لديه حتى يصبح قدوة حسنة أمام طلابه.

ويقول الإمام الشافعي –رحمه الله– عندما أقبل على مؤدب: " ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح من تؤدبهم إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عِندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تتركه ". (أبو الفرج،1979،ج2: ص255)

2- تسهل عملية الفهم على المتعلم:

فنجد عندما يحب الطفل معلمه، سرعان ما يحب ما يدرسه هذا المعلم، ويحب حصصه، ومادته الدراسية، وتكون استعداداته عالية وواضحة لهذه المادة، فمن ثم سوف يحصل أعلى درجات الفهم في تلك المادة . وهذا كما أوضح سببه الغزالي قائلاً :" وذلك لأن المعلم فاتح ومبسط والتحصيل معه أسهل". (الغزالي، 1972: ص23) وهذا كله مرجعه إلى هذه العلاقة الطيبة بين المعلم والمتعلم.

3- تبصير المعلم بطاقات وحاجات المتعلمين:

يستطيع المربي من خلال مصاحبته ومخالطته لمن يربيهم اكتشاف طاقاتهم وقدراتهم ومؤهلاتهم؛ ومن ثَم يستطيع توجيه هذه الطاقات فيما يناسبها، ويوجه هذه القدرات إلى مساراتها، ويضع الشخص المناسب في المكان المناسب من خلال تلك المؤهلات، ولهذا شاهد من السيرة؛ كما في الحديث الشريف: " **أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أبو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ في أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بن جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بن ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هذه الأُمَّةِ أبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ** ". (النسائي،1991،ج5: ص67)

فنظراً لطول صحبة المعلم للمتعلمين يكون أعرف الناس بهم و بمواهبهم وقدراتهم، حتى يعطيهم على قدرِ استطاعتهم وتحملهم.

4- معرفة جوانب الضعف لدى المتعلمين ومن ثَمّ معالجتها:

يجتهد المعلم ويسعى في تطوير المتعلم والارتقاء به. ومن محاور التطوير والارتقاء معرفة ضعفه، وذلك من أجل تزويده بالعلاجات المناسبة فيتجاوز هذا الضعف ويرتقي. ومصاحبة المتعلمين ومعايشتهم توفر للمعلم ذلك كله. ولقد استطاع ﷺ بمصاحبته لأصحابه معرفة نقاط القوة لديهم ونقاط الضعف أيضاً، فأثنى على نقاط القوة خيراً، وحذر ونصح وحث في نقاط الضعف من أجل تجاوزها، وإليك هذا الشاهد:

عن ابن عمر قال: " كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ، وكنت غلاماً أعزب، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ ، فرأيت في المنام مَلَكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لم تراعَ. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال:" **نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ لو كان يُصَلِّي من اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لا يَنَامُ من اللَّيْلِ إلا قَلِيلا**". (البخاري،1987، ج1: ص378)

د- صحبة الناس جميعاً:

إذا تقرر هذا الجانب في الأسرة، مع الأبناء والزوجات، وفي المدرسة، فإن لهذا الخلق جوانب أخرى تتسع لتشمل كل جوانب الحياة والأحياء، بعضهم مع بعض طالما جمعتهم أخوة ورابطة الإسلام، وذلك كما قال رسولنا الكريم ومعلمنا ﷺ: " **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**". (البخاري،1987،ج5:ص2253)

وكانت مصاحبة الناس أيضاً دليلاً على الخيرية، كما جاء في الحديث الشريف: " **الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ**". (ابن حنبل،1999،ج15: ص106)

إن الإنسان -فرداً- لا يستطيع الحياة منعزلاً، بل لا بد لبقائه واستمرار حياته من الاجتماع بأفراد نوعه، يتعلم منهم ويعلمهم، يخدمونه ويخدمهم، يأنسون به ويأنس بهم، يشاطرهم أفراحهم وأتراحهم.

حيث قال الله ﷻ : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:**28**] فالصحبة الصالحة تعين الإنسان على الصبر والثبات، وتحمل الابتلاء.

وكما روى ﷺ: " **الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ** ". (ابن حنبل، 1999، ج9: ص64)

فالإنسان مجبول بطبعه على طلب الصاحب رفيق الدرب، تدفعه إليه حاجته من جميع أقطارها: النفسية والعقلية والقلبية والعضوية والمادية، يطلبه ويلح في طلبه مضطراً؛ لتحصيل أموره وتوفير شؤونه يقضيها، أو يفكر معه فيها، يشاوره فيما يهم وفيما يلم، والصاحب ينعطف إلى الصديق؛ يأتمنه على السر، ويطلب منه الرأي ويفاوضه فيه، ويشكو إليه حاله، ويجد عنده عزاءه وسلوانه، كما يجد عنده هناءه وبشره، ويسترشد به دليلاً إلى أقرب السبل وأيسرها وصولاً إلى غاية أو إفضاء إلى نهاية تجلب خيراً أو تدفع ضراً.

ونظراً لضرورة وأهمية هذا الجانب من الموضوع، كان لابد أن نتوسع في دراسة آداب ومقومات وآثار تلك الصحبة بشيء من التفصيل في فصول الدراسة القادمة بإذنه (تعالى).

الفصل الثالث

مقومات الصحبة المستنبطة من خلال الكتاب والسنة

مقدمة.

أولاً: إيمان وتقوى الصاحب.

ثانياً: صدق وأمانة الصاحب.

ثالثاً: المنبت الحسن للصاحب.

رابعاً: حسن سيرة الصاحب.

خامساً: التشابه بين سمات الأصحاب.

سادساً: تقارب العمر بين الأصحاب.

سابعاً: وحدة حال ومصير الأصحاب.

ثامناً: صحبة أهل العلم.

تاسعاً: حسن المعاملة في السفر والسكن.

عاشراً: المعرفة بحقوق وواجبات الصحبة.

مقدمة:

ذكر سابقاً أهمية الصحبة، ومدى حرص الإنسان علـــى تكـــوين صـــداقات وعلاقـــات اجتماعية حميمة، ولا يمكن لإنسان أن يعيش وحيداً، منعزلاً عن الآخرين، فمن الطبيعي أن ينعم الإنسان بالصاحب الصالح، الذي يأخذ بيده في الدنيا، والحذر من رفيق السوء، كمـــا جـــاء فـــي التحذيـــر النبـــوي من صحبة رفقاء السوء، وحثه على التدقيق وحسن الاختيار للـــصاحب فـــي قوله ﷺ:" **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**". (ابن حنبل، ب.ت: ص303)

حيث إن الأصحاب يتشابهون في صفاتهم وأخلاقهم، وما يلبثون قليلاً من مدة صـــداقتهم إلا وتجد التشابه في كل الطباع، وطريقة الحديث، والأسلوب، ويتم ذلك بالمحاكاة، فلـــو وضـــع بخيل بين مجموعة من الكرماء، بعد وقت ليس ببعيد سوف يتخلى عن صفة البخل وقد يـــصبح سخياً كريماً بالتدريج؛ حيث إن الصاحب ساحب في كل الأمور، وبين ﷺ تلك المفارقة بـــضرب المثل فقال:" **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَـــافِخِ الْكِيـــرِ فَحَامِـــلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً.**" (مسلم، ب:ت، ج8، 37)

لذلك كان الأمر يتطلب الوقوف على الصفات وأهم المقومات الواجـــب توافرهـــا فـــي الصاحب حتى تكون صحبة مباركة طيبة، بعيدة عن الغواية والضلال، والتأثر بـــسيئ الخـــلال، وقد جاء النهي في القرآن الكريم عن صحبة قوم، والحث على صحبة آخرين. كما قال (تعالى): ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾. [الكهف:**28**]

فحينما تختلف المقاصد والأهداف هنا، فلا مجال إلـــى التعامـــل والمـــشاركة، أو حتـــى تعارف ينشأ عنه قسط من الاهتمام ومن ثم لا يمكن أن تقوم علاقة أو صحبة أو تعـــاون، بـــين مؤمن بالله وبين آخر أعرض وتولى عن ذكره ولم يرد إلا الحياة الدنيا.

لذلك قامت الباحثة باستقراء الآيات والتدبر في معانيها ومدلولاتها، وفي الأحاديث النبوية الشريفة، مستخرجة أهم تلك المقومات الواجب توافرها في الصاحب الصالح، وهي كما يلي:

أولاً: إيمان وتقوى الصاحب:

ينبغي للإنسان أن يحسن اختيار صاحبه وانتقاءه: فلا يكون إيثاره بالصداقة لغرض من مال أو جاه أو نحوه، بل يجب أن يكون الدين والخلق أساس الصحبة والأخوة، فلا يعاشر إلا من يثق بدينه وأمانته في ظاهره وباطنه، وقد حث الله (تعالى) على ملازمة أهل الصلاح والإيمان في قوله (تعالى): ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الكهف:**28**]، أي اصبر نفسك مع هؤلاء، ذوي الصفات المحمودة، كما وصفهم عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – فقال: "هم الذين يشهدون الصلاة المكتوبة" وعن عبيد الله بن عدي في هذه الآية قال: "هم الذين يقرؤون القرآن". (السيوطي،1993، ج5: ص382) وقال قتادة: "نزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى". (البغوي، 1997، ج5: ص166)، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي جَعَلَ مِنْ أُمَّتِى مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِى مَعَهُمْ** " (أبو داود، ب.ت، ج3: ص362) فهؤلاء من تحرص على مصاحبتهم ومجالستهم والتزود من علمهم، ففيهم خير.

فالحكمة –هنا– من مصاحبة الفقراء: لتعلم الصبر، والتواضع، والتخلي عن الكبر والأنفة، والرضا بالقليل. فعن ابن عمر –رضي الله تعالى عنهما– موقوفاً:–" **تواضعوا، وجالسوا المساكين، تكونوا من كبراء الله، وتخرجوا من الكبر**". (الألباني، 1992، ج7: ص 428) وفي قوله ﷻ: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾. [لقمان:15] وقال رسوله الكريم ﷺ: "**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلا تَقِيٌّ** " (الترمذي، 1998،ج4، ص201)، فهو الذي يستحق معاشرتك؛ لأنه سوف يقدرها ويصونها، ويحافظ عليك في سرك وعلانيتك، وبعد مماتك.

وأن الرسول ﷺ لو كان يريد الصحبة في الدنيا لوقع اختياره على أبي بكر الصديق ﷺ الصاحب المؤمن التقي الوفي حين قال: "**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**". (البخاري،1987،ج1:ص178)

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "لاَ تَعْتَرِضُ لِمَا لاَ يَعْنِيك وَاعْتَزِلْ عَدُوَّك وَاحْذَرْ صدِّيقَك إلاَّ الأَمِينَ مِنَ الأَقْوَامِ، وَلاَ أَمِينٌ إلاَّ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ، وَلاَ تَصْحَبَ الْفَاجِرَ فَتَعَلَّمَ مِنْ فُجُورِهِ، وَلاَ تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ.وقَالَ أيضاً فِي الْعُزْلَةِ رَاحَةٌ مِنْ خُلَطَاءِ السُّوءِ." (ابن أبي شيبة، 2006، ج19، ص148)

وعن عَلْقَمَةُ أنه ذهب إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ دعا الله –عز وجل– فقال:" **اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا فَجَلَسَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ**". (البخاري، 1987،ج5: ص25)

ولا شك أن أدنى فائدة تحصل عليها **من** صحبة الصالحين الاستحياء من مقارفة المعاصي في حضورهم، فضلاً عن أن تؤتى ثم يجاهر بها في مجالسهم افتخاراً، كما هو من عادة الفسّاق.

ثانياً: صدق وأمانة الصاحب:

إن كلمة صديق أصلها من الصدق " ص د ق " فهي صفة أساسية يجب أن تتوفر في الصاحب الصديق، بأن يصدقنا في مودته وعشرته، قولاً وفعلاً. فلقد حثنا الإسلام بالتقرب من هؤلاء الصادقين مصداقاً لقوله (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [**التوبة:119**] وفي تفسير هذه الآية : "الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة". (ابن السعدي، 2000، ج1، ص355)

فالصدق والأمانة صفتان متلازمتان مع بعضهما، في الشخص نفسه، فكان معلمنا ورسولنا الكريم ﷺ يُنْعَتْ بكلتا الصفتين، الصادق الأمين، وكانوا يحبون التعامل معه، والتجارة معه، ويتركون عنده أماناتهم لفترات طويلة، وكان منهم غير مسلمين، فكسب قلوبهم بتلك الصفات الطيبة، وكان صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ الذي صدقه وواساه، في وقت كذبته الناس، فصدقه قولاً وفعلاً، بماله، وزَوَّجَه ابنته عائشة، ولازمه غزواته، وهاجر معه، واختبأ معه وواساه في غار حراء والكفار وراءهم يبحثون عنهم ليقتلوهم، كل موقف كان يثبت مدى صدقه ليس قولاً فقط، وإنما في أفعاله أيضاً.

وفي هذا قَالَ عُمَرُ بن الخطاب ﷺ: " لاَ تَعْتَرِضُ لِمَا لاَ يَعْنِيك وَاعْتَزِلْ عَدُوَّك وَاحْذَرْ صدِيقَك إِلاَّ الأَمِينَ مِنَ الأَقْوَامِ، وَلاَ أَمِينٌ إِلاَّ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ، وَلاَ تَصْحَبَ الْفَاجِرَ فَتَعَلَّمَ مِنْ فُجُورِهِ، وَلاَ تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ.وقَالَ أيضاً فِي الْعُزْلَةِ رَاحَةٌ مِنْ خُلَطَاءِ السُّوءِ." (ابن أبي شيبة، 2006، ج19، ص148)

فالكلام –هنا– لا غبار عليه وواضح، مثلما يجب التقرب والبحث عن الصاحب التقي الصادق الأمين، بالمقابل يجب الابتعاد عن الفاجر؛ لأن الصاحب ساحب في كل الأحوال، فلا بد أن يتعلم من فجوره، وإن لم يتعلم فسيطّلع عليها، فتذهب الخشية والتقوى من قلبه؛ لأنه يرى ارتكاب

المعاصي، فمثل هذا الصاحب لا يؤتمن على سر، ولا يصلح لأن يستشار في أمرٍ من الأمـــورِ، إذن لا فائدة منه، لذلك يجب الابتعاد عنه.

ثالثاً: المنبت الحسن للصاحب:

إذا رجعنا إلى أصل التربية، لوجدناها من ربى، يربي أي نشأ وترعرع، حـــسب البيئـــة التي نشأ فيها الإنسان، فلقد أشار الله ﷻ في كتابه العزيز إلى تأثير المنشأ والمنبت على الإنـــسان قائلاً: ﴿ **وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** ﴾ **[الأعراف:58]**، حيث شبهه (تعالى) بالنبات يترعرع أينما كان. وهذا كله داع لنا؛ لضرورة معرفة منبت الصاحب الذي سوف نأتمنه علـــى بيوتنـــا، ونطلعـــه علـــى أسرارنا.

حيث قال ﷺ:" **إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحـــسناء فـــي المنبت السوء**" (الألباني، 1992، ج1 :ص 91) فبعض الأحيان، بسبب منبـــت الـــسوء، يكـــون حُسنها غير مصان، فتصبح سيئة الخلق. وهذا لا يُعَد تعميماً، فكثير من العلماء والصالحين، كـــان أبواهما فاسدين، وإنما هذه الحالة قد تحدث في أغلب الأحيان، وليتفادى الإنـــسان الريبـــة والـــشك أيضاً.

لذا حثنا الإسلام على ضرورة التعارف قبل الصحبة، والسؤال عن اسم الصاحب وعمله ومسكنه، وما يتبع ذلك من أصول التعارف. بأن تعرف عنه ما يميزه لك تميزاً كافياً؛ لأنه ينبغي على من يريد صحبة أحد أو صداقته، أن يبدأ بالتعارف إليه، فالتعارف أمر مطلوب بين النـــاس عموماً، وقد بين الله تعالى في القرآن أنه خلق الناس كلهم من أصلٍ واحدٍ وجعلهم شعوباً وقبائـــلَ من أجلِ أن يتعارفوا، وهذا في قوله ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾. **[الحجرات:13]**

فعن ابن عمر رضي الله عنه كان يلتفت يميناً وشمالاً بين يدي رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقـــال: أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه فقال: " **إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزلـــه فإن كان مريضاً عدته وإن كان مشغولاً أعنته**". وفي رواية: وعن اسم جده وعـــشيرته. (أبـــو الفضل، 1995،ج1: ص474)

وهذه المعلومات التي قد يجمعها الصاحب عن صاحبه، ستعمل على زيادة الثقة، فالشيء عندما يعرف تذهب عنه الغشاوة.

رابعاً: حسن سيرة الصاحب:

لا شك أن كلاً منا حريص على التحلي بالأخلاق الحسنة، ليكون محبوباً بين الناس، بل والتقرب أيضاً بمن يتصف بتلك الأخلاق التي يثني عليها الآخرون؛ حيث إن الإسلام بني على حسن المعاملة، وبيّن الله ﷻ ذلك لرسوله الكريمﷺ قائلاً: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران:**159**] فصاحب الأخلاق الحسنة هو من تجد الناس يلتفون حوله، وعلاقاته واسعة، ويلقب بأنه اجتماعي محبوب في عمله ومنطقته، وبين جيرانه وأصدقائه ومن ثم أهل بيته، وهذا ما وصفه رسولنا الكريم بأكمل المؤمنين، كما جاء في الحديث الشريف:" **إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ**". (الترمذي،1998، ج4: ص359)

ومن ينفر منه الناس وينفضوا من حوله ذلك الذي يتذمر ويبخل ويعبس في وجه هذا وذاك، فتكون معاملته سيئة مع الجميع وأهل بيته.

فلقد أشار معلمنا الفاضل إلى هذا المعيار، الذي نختار وفقه ذلك الصاحب قائلاً:" **خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**." (الدارمي، 2000، ج3: ص 1583) وقيل في الأمثال **التمسوا الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق**، والمقصود السؤال عن أخلاقه ومعاملته، وحسن عشرته.

وفي هذا –أيضاً– قال عمرﷺ: "عليك بإخوان الصدق، تَعِشْ في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء". (ابن عساكر، 1995،ج44: ص 360)

فمن المؤكد مَنْ نختاره صديق اليوم، الذي له مواصفات معينه، ليريحنا فيما بعد، حيث أن الصديق وقت الضيق في أغلب الأحوال.

وقال علي ﷺ:

وصاحب تقياً عالماً تنتفع به	**فصحبة أهل الخير ترجى وتطلبُ**
وإياك والفسّاد لا تصحبنّهم	**فصحبتهم تعدي وذاك مجرَّب**
واحذر مؤاخاة الدنيء فإنه	**يعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ**
واختر صديقك واصطفيه تفاخراً	**إن القرين إلى المقارن ينسب**

وقيل –أيضاً– بهذا الصدد:" لو صحبني فاجر حسن الخلق كان أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق؛ لأن الفاجر الحسن الخلق يصلحني بحسن خلقه، ولا يضرني فجوره،

والعابد السيئ الخلق يفسدني بسوء خلقه، ولا ينفعني بعبادته؛ لأن عبادة العابد له، وسوء خلقه علي، وفجور الفاجر عليه، وحسن خلقه لي." (التوحيدي،1996: ص72)

فلا شك أن الصاحب ساحب في أغلب الأحوال، وكما ورد عن علي ﷺ في الأبيات السابقة، حيث شبهها بالعدوى، بدون ما يشعر الأصحاب، يجدون أنفسهم مقلدين لبعضهم البعض، يتكلمون بنفس الطريقة، يقومون بنفس الأعمال والأفعال، فيمكن أن يكون صاحب سبباً في هداية قرينه وإصلاحه واتباعه في أخلاقه، ويتبعه إلى المساجد ومجالس العلم، وفي المقابل، هناك أصحاب يوقعون أصحابهم في الهاوية، ويزجون بهم إلى سبل الانحراف، وفساد الأخلاق، وكثيراً ما ينتهي بهم الحال في السجون، فكم من سجين قابع هناك بسبب رفاق السوء؛ لذلك كان لا بد في كل مرحلة من إعادة النظر، وانتقاء من نرضاه ليشاركنا حياتنا الدنيا والآخرة أيضاً.

خامساً: التشابه بين سمات الأصحاب:

يعد التوافق النفسي والروحي من أهم المقومات الواجب توافرها في الصاحب الصالح، وبتوافر هذا الشرط أو المعيار، يكون أدعى لدوام العشرة والمودة. والمقصود بالتوافق –هنا– هو هذا التشابه في الصفات، بين الأصحاب، وليس شرطاً أن يكون تشابهاً كلياً، إذ يمكن أن يكون جزئياً ببعض الصفات، فنجد المتشابهون يتقربون لبعضهم تلقائياً، عند وجود أشياء مشتركة يحبونها أو يفعلونها سوياً، ولقد نوه القرآن الكريم لهذه الظاهرة حيث قال ﷻ في محكم التنزيل: ﴿ **الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النور:**26**]، ولقد أكد معلمنا الفاضل ﷺ على هذا فقال:" **النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ في الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** ." (مسلم، ب:ت، ج8، ص41) وللغزالي كلام طيب في شرحه لهذا الحديث قائلاً: " هذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به، وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، وإن أجناس الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة، قال فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذا هما أعرجان، فقال: من ههنا اتفقا، ولذلك قال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يتفرقا، وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم:

وقائـــــل كيــــف تفارقتمـــــا فقلت قـــولاً فيـــه إنـــصاف

لـــم يـــك مـــن شـــكلي ففارقتـــه والنـــــاس أشـــكال وآلاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال أو مآل بل لمجـرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية ." (الغزالي، 1982،ج2،ص162)

وقال علي بن أبي طالب ﷺ :" شر الإخوان من تكلف له، وخيرهم من أحدثت لك رؤيته ثقة به، وأهدت إليك غيبته طمأنينة إليه." (التوحيدي،1996:ص61)

فهذه الطمأنينة لا تأتي من فراغ، وإنما ترجع لذلك التوافق الروحي الموجود، والتـشابه، الذي ربما يقع بالصدفة، فمن أبرز سمات الصحبة أنها تكون طبيعية بدون كلفـة زائـدة، بـين الأصحاب، فكثير منا يحكم على الإنسان للوهلة الأولى، من أول لقاء، فيقـول اسـترحت لهـذا الشخص، فيحب أن يتقرب إليه، وبالمقابل كثير منا يرى أشخاصاً يبغضهم من أول لقاء، بمجـرد النظر في وجوههم، وهذا الشيء الذي لم يجد أحداً تفسيراً له، أو ربما هي تلك الأرواح المجنـدة كما روي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَـارَفَ مِنْهَـا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**." (مسلم، ب.ت، ج8: ص41)

ولنا وقفة مع الآلية التي آخى بها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، حيث إن المؤاخـاة شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض، ولتتآلف قلوب بعضهم على بعض. فكان المتآخون مـن المهاجرين والأنصار حوالي تسعين رجلاً، فعندما تأملت قليلاً بين بعض من آخي بينهم، وجدت هناك توافقاً نفسياً وروحياً ومادياً، بين الصحابة وبعضهم، فكان الاختيار لـيس عـشوائياً، بـل مدروساً حسب الأصول، آخذاً بعين الاعتبار هذا المعيار المهم وهو ضـرورة التوافـق لنـواحٍ عديدة، فمثالاً على ذلك:

1- آخى الرسول ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما :

فكان عبد الرحمن بن عوف ﷺ سادة من سادات المسلمين، كما شهد له عمـر ﷺ فقـال عنه: "عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين" (ابن حجر، 1995، ج4: ص384) وكان تـاجراً كبيراً، كما أوضحه معمر عن الزهري :" تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد الرسـول ﷺ بشطر ماله ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمـسمائة فـرس فـي سـبيل الله وخمسمائة راحلة وكان أكثر ماله من التجارة" (ابن حجـر، 1995،ج4: ص347) وسـعد بـن الربيع ﷺ كان –أيضاً– مـن كبـار الخزرج وزعمائها، وأكثر أهل المدينة مالاً، وكان كاتباً في

الجاهلية، فعن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: " **قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ.** " (البخاري، 1987،ج5: ص69)

والشاهد –هنا– ذلك الاختيار والتوافق فعبد الرحمن بن عوف ﷺ أنفق ماله في سبيل الله، وهاجر تاركاً بيته، ومكانته الاجتماعية؛ حيث إنه سيد قومه، عوضه الله ورسوله نفسياً ومعنوياً، بأن يآخي بينه وبين من يوازيه في المكانة الاجتماعية والمال، وصفة الجود والبذل والكرم في سبيل الله، فإنها مشتركة بينهما. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: " إن قافلة لعبد الرحمن بن عوف ﷺ قدمت من الشام تحمل من كل شيء، وكانت سبعمائة بعير، فجعلها جميعاً في سبيل الله". (ابن حنبل، ب.ت، ج6: ص115)

حيث إن النفوس سهل أن تندمج وتمتزج فيما بينها؛ نظراً للتشابه وتقارب الطباع والصفات، فهما تاجران يتصفان بعقليه تجارية ناجحة. فرغم أن عبد الرحمن محتاج فعلياً لذلك العرض المغري، إلا أنه أبى وتعفف، فإن التعفف من الغنى.

2- **آخى ﷺ بين سلمان الفارسي و أبي الدرداء رضي الله عنهما:**

عرف عن سلمان الفارسي ﷺ بأنه كان مفكراً قبل إسلامه، دان بالمجوسية وتركها، ودان بديانات أخرى وكان يفكر فتركها، وذهب للنبي الكريم محمد ﷺ ودان بالإسلام، ولقب بالحكيم لقمان، وهو الذي أشار على الرسول ﷺ بحفر الخندق عند مجيء الأحزاب "...فَلَمَّا بلغ خبرهم النَّبِي ﷺ شاور الْمُسلمين فِي أَمرهم، فَأَشَارَ سلمَان الْفَارِسِي (بِحَفر) الخَنْدَق، فَاسْتَحْسَنَهُ الْمُسلمُونَ وتقاسموا الخَنْدَق..." (ابن الملقن، 2004، ج3: ص322)

حيث لديه خبرة ومعرفة بفنون الحرب والقتال لدى الفرس، وشهد له رسول الله ﷺ بذلك فقال: " **لقد أُشبع سلمان علماً**". (الألباني، 1992، ج4: ص328)

أما عن أبي الدرداء ﷺ فكان تاجراً قبل إسلامه، لكن عندما أسلم تفرغ للعبادة والعلم، فلقب بحكيم الأمة، وهو أحد الذين جمعوا القرآن وحفظوه عن ظهر قلب في عهد النبي ﷺ، وكان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق ومفتيهم وقاضيهم. وعرف –أيضاً– بالفروسية فكان فارساً شجاعاً .(الذهبي، 1983، ج1: ص4)

من هذه النبذة المختصرة عن حياة كل منهما، كشفت لنا ملامح عن شخصيتهما، ومدى تقاربهما، حيث كان اهتمامهما واحداً، وهو التفكر والعلم، وكان كل منهما حكيماً، فهذا أدعى إلى أن يآخي بينهما الرسول ﷺ حتى يستطيعا أن يتعايشا في بيت واحد، فسوف تندمج أرواحهما مع بعضهما البعض لهذا التشابه والتقارب في الفكر والاهتمامات.

وعندما سُئِلَ أبو سليمان السجستاني عن سر صحبته العجيبة مع ابـن سـيار القاضـي، فأجاب :" إن بيننا ممازجة نفسية، وصداقة عقلية، ومواتاة خلقية، وهذا من اختلاط ثقتي به بثقتـه بي، فاستفدنا طمأنينة وسكوناً لا يرثان على الدهر، ومع ذلك فبيننا بالطالع مشاكلة عجيبة، حتـى أننا نلتقي كثيراً في الإرادات، والاختيارات، والشهوات والطلبات، وربما تزاورنا فيحدثني بأشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل، فأجدها شبيهة بأمور حدثت لي في ذلك الأوان، حتى كأنها قـسائم بيني وبينه، وكأني هو فيها، أو هو أنا." (التوحيدي،1996 : ص30)

وهذا ما يصادفنا كثيراً في حياتنا اليومية مع أصدقائنا والأقرباء ومن نحب، نفكر سـوياً في أشياء مشابهة، وفي التوقيت نفسه.

كل هذا يحدث دليلاً على مدى الانسجام والتوافق، فهذا إن توفر ووجد بين الأصـحاب، فيبشروا بعلاقة طيبة تسودها المودة والتفاهم والطمأنينة لأطول مدة ممكنة، قد تمتد لبعـد مـوت أحدهم إذ يبقى على وفاء من عهد صاحبه، ويبر بوصال أقربائه وأولاده ويزور قبره ويدعو لـه بالخير.

سادساً: تقارب العمر بين الأصحاب:

يعد العمر معياراً أساسياً لدى البعض عند اختيار الصاحب، فمـن الطبيعـي أن يميـل الإنسان لمن هم في عمره، حيث التوافق يكون بينهم أكبر، إذ المرحلة العمرية واحـدة، حيـث الميول والاهتمامات والقدرات العقلية والنفسية والعاطفية، متقاربة إلى حد ما، مما يجعـل بيـنهم أعمالاً يقومون بها مشتركة.

وقد نلاحظ هذا جلياً في معظم العلاقات، بما يُـسمى الـشِلَل، أو جماعـة الرفـاق، أو الأقران، أو جماعة اللعب، فكلها مرادفات تؤدي مضموناً واحداً وهو مشاركتهم جميعاً نفس الفئة العمرية، وتتكون تلك الجماعات خلال الدراسة في المدرسـة أو خـلال اللعـب فـي النـوادي والشوارع. ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة في سورة الكهف، حيث قـال ﷻ: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ [**الكهف:13**] والشاهد هنـا في قوله (فتية) حيث إنها تشير إلى فئة عمرية معينة وهي فئة مقتبل الشباب، وفتية جمع فتـى، حيث إنهم كانوا مجموعة، فلا شك أن الذي جمعهم هو إيمانهم بالله (تعالى)، ودفاعهم عن قضية واحدة، فروا بدينهم من الطاغوت، لكن لو تأملنا قليلاً لوجدنا أيضاً وصفهم بفتية لتقارب المرحلة العمرية فيما بينهم، مما يحقق الانسجام والتوافق الفكري والروحي المطلوب.

فنجد تقارباً في الميول والاتجاهات، واهتمامات وهموماً واحدة، حيث إن هؤلاء الفتية حملوا هماً واحداً، وتعاونوا عليه، ولأنه بر وتقوى زادهم ربهم هدى وإيماناً وربط على قلوبهم، فهذه هي اللُّحْمَة والاتحاد الذي يولد في النهاية القوة والتحدي في مواجهة الصعاب.

ولا شك أن هناك حالات شاذة فيمكن أن نجد صداقات بين مراحل عمرية مختلفة، ممكن أن تتعدى جيلاً بأكمله، لكن الغالب والفطرة تميل إلى التقارب العمري، تفادياً لما يسمى بصراع الأجيال، الذي نلاحظه بشكل يومي، بين الآباء وأبنائهم، حيث الفجوة العمرية، واختلاف الاهتمامات قد يؤدي إلى عدم التفهم لتلك المرحلة وخصائصها مما يصعب التفاهم فيما بينهم فتبدأ المشاحنات والخلافات، وهذا ما يعرف بصراع الأجيال.

ومن الآثار التربوية لضرورة تقارب العمر بين الأصحاب، أن الصبي على الصبي ألحن، فالطفل أو الشاب، والفتاة تصغي لمثيلاتها بشكل أكبر وتقلدهن، وتتعلم منهن. فيمكن استغلال هذا في مدارسنا، بما يعرف بالتعليم التعاوني، أو التعلم بالأقران، حيث يقوم الطالب المتفوق بمساعدة الطالب ضعيف التحصيل أو دمج ضعاف التحصيل ضمن مجموعات غير متجانسة، وهذه الطريقة تطبق في مدارسنا وأثبتت نجاحاً ملحوظاً وتغيراً على سلوك الطلبة بشكل إيجابي ومرضٍ.

سابعاً: وحدة الحال والمصير بين الأصحاب:

من طبيعة النفس البشرية أنها تميل إلى من يشابهها، ويتوافق معها، مما يدعو إلى سهولة الامتزاج فيما بينهما، و قياساً عليه تشابه تلك الظروف التي قد يمر بها البعض، فكلما كانت تلك الظروف والأحداث متقاربة، كلما توطدت العلاقات وزادت الثقة، حيث تصبح مطلقة في أغلب الأحيان وشاهدنا –هنا– على هذا، هؤلاء الفتية الذين فروا بدينهم، حيث قال ﷻ في كتابه العزيز: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ [**الكهف:13**] الرابط بين هؤلاء الفتية كان موحداً، وهو الفرار بدينهم من جبروت الطغاة، حيث لو لاحظنا مدى الثقة التي تكون بين تلك الجماعة، إذ لا مجال –هنا– للخيانة أو سوء الظن أو التكذيب، فهي فعلاً ثقة مطلقة؛ لأن الحال واحد، ولو حدث ضرر ما فستقع عواقبه على الجميع.

ولنا خير شاهد في هذا ما حدث مع سيدنا يوسف عليه السلام عندما سجنه العزيز، الذي كان ملكاً على مصر، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [**يوسف:39**] وهما الرجلان اللذان سُجن معهما سيدنا يوسف عليه السلام، وتحدث

معهما ونعتهما بصاحبي السجن، وأخذ يتحدث معهما ويطمئنهما، ويدعوهما لعبادة الله وحده، فلما اطمئنوا له، أخذ كل واحدٍ منهما، يروي رؤيته كي يفسرها له، وقام بتفسيرها لهما، والشاهد – هنا– هو أيضاً الثقة التي حدثت، وذلك الخوف الذي سرعان ما زال، وهذا لوقوعهم في نفس الظروف القاسية، يعيشونها سوياً وبشكل يومي، وهذا ما يحدث لدى الكثير من الأسرى القابعين وراء تلك القضبان، يعيشون أيامهم الصعبة، ينتظرون ذلك اليوم البعيد، كي ينالوا حريتهم، فعندما سُئلوا، أجمعوا على أن الذي كان يواسيهم في محنتهم هذه ويعينهم على مضي تلك الأيام الصعبة، تلك الصحبة القوية التي تكونت بين تلك الجدران، ومما وصفوه أيضاً أنها من أجمل الأيام ومن أجمل الأوقاتِ تلك التي كانوا يتسامرون فيها ويضحكون ويلهون مبددين أحزانهم، تاركين أهليهم وذويهم خلف تلك الضحكات، حيث يكون فيها التراحم والمواساة والمؤازرة من أسمى ملامحها وأوضح خصائصها.

ومن الآثار التربوية لهذه الصحبة: أنها تدوم لمدة أطول حتى بعد الإفراج عنهم وخروجهم، لا يزالون يتزاورون ويتواصلون ويتذكرون تلك الأيام الصعبة، محدثين أهليهم عنها وكأنها ملامح وذكريات جميلة، ويتمتع هذا النوع من الصحبة بمدى الثقة التي قاربت أن تكون مطلقة.

وهنا شكل آخر من أشكال وحدة الحال، ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" **مَنْ رَأَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ هُوَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا يَزْدَرِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ.**"، وَيُرْوَى عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: "صَحِبْتُ الْأَغْنِيَاءَ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَكْبَرَ هَمًّا مِنِّي أَرَى دَابَّةً خَيْرًا مِنْ دَابَّتِي وَثَوْبًا خَيْرًا مِنْ ثَوْبِي وَصَحِبْتُ الْفُقَرَاءَ فَاسْتَرَحْتُ." (الترمذي،1998،ج3: ص377)

فلا شك أن وحدة الحال هنا تريح القلب والعقل، حيث إن كل إنسان يسعى إلى الكمال، ويبحث عنه، فيدخل له الشيطان من ذلك الباب، موسوساً له بأن ينقم على حياته وعيشه، ولا يرضى بها، كلما دخل بيت صاحبه الجميل، ذا الأثاث الفخم، ويقدم له الطعام والشراب النادر، ويركب معه سيارته الحديثة، ويحدثه عن أولاده وعيشهم، فعندما يغدو إلى بيته المتواضع ماشياً على قدميه، ويرى أولاده وطعامه، فتبدأ التعاسة الحقيقية؛ لأن الرضا من الإيمان وهو الرضا بما قسمه الله لنا، فكي ينال الإنسان الرضا الحقيقي، ينظر ويصاحب من هم أقل منه، أو على الأقل حاله مثل حالهم.

ثامناً: صحبة أهل العلم:

إن الصاحب على صاحبه أقرب وأيسر من غيره، فكل صاحب معلم لصاحبه، يأخذ عنه أخلاقه ويتشرب سلوكياته وطباعه، دون أن يشعر، يحب أن يقلده ويحاكيه، وذلك من طول

الملازمة والمعاشرة، فيا حبذا لو كان هذا الصاحب عالماً راشداً، كي يأخذ عنه العلم النافع، وهذا ما يجب أن يسعى إليه الناس في اتخاذ الخلان والرفاق، حتى مهما بلغ الإنسان من العلم فهناك من هو أعلم منه، ولنا في هذا شاهد قصة سيدنا موسى والخضر (عليهما السلام)؛ حيث قال ﷻ في محكم التنزيل على لسان موسى (عليه السلام): ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ [**الكهف:66**] حيث كان سيدنا موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل واعظاً يذكر الناس حتى فاضت العيون ورقت القلوب فسُئِلَ أيُ الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى إليه إن لي عبداً هو أعلم منك فاصطحبه ولازمه رحلته الطويلة كي تتعلم منه. (قطب، ب:ت، ج4، ص2278: 2281)

فالحث هنا على مصاحبة وملازمة أهل العلم وذوي العقول الحصيفة، فلقد جاء في التوجيه النبوي الشريف، حيث قال ﷺ: "**جَلِيسُ الْمَسْجِدِ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَخٍ مُسْتَفَادٍ أَوْ كَلِمَةٍ مُحْكَمَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ مُنْتَظَرَةٍ.**" (ابن حنبل، 2001،ج15: ص 249)

حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم يصطحبون أبناءهم معهم إلى الصلاة، وإلى مجالس العلم. وقال لقمان الحكيم لأبنه: " من يصحب صاحب الصلاح يسلم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم". وقال: " جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء".(التوحيدي،1996: ص67)

سبحان الذي علم ما لم يعلم، فهؤلاء الحكماء استنبطوا خفايا الأشياء وأسرارها، وعرفوا ما كان يخفى، حيث إن مجالسة العلماء لها من الآثار التربوية الجمة، كما بينا سابقاً في الفصل الأول، وكان أهمها القدوة الحسنة، وهذا ما نحتاج إليه في عصرنا هذا.

تاسعاً: حسن المعاملة في السكن والسفر:

مما لا شك فيه، أن ملازمة الأشخاص في السكن والسفر، تُتيح فرصة للناس ليعرفوا بعضهم البعض، ويطلعوا على الأخلاق الأصيلة دون تنمق؛ حيث إن الإنسان يكون بطبيعته، فإن أحسن التصرف وحسنت عشرته في المسكن والمعايشة، وكانت ملازمته في الرحلات والسفر مرضية، فيكون ممن وجبت صحبتهم وملازمتهم طوال العمر، فعن آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون أنها عندما أظهرت إيمانها قام فرعون بتعذيبها فأوتد لها أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكان إذا تفرقوا عنها أطلقتها الملائكة، فقالت: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**التَّحريم:11**] فكشف لها عن بيتها في الجنة. (البوصيري، 1999، ج7: ص232)

فلقد اختارت الجار قبل الدار، حيث إن زوجها المفترض أن يكون رحيماً بها، هو من قيدها وظلمها، فلقد ساءت عشرتهما، دعت ربها بأن تكون عنده لترتاح بأن تعيش بجانبه.

فلا بد لنا هنا من الحديث عن حسن الصحبة بين الرجل وزوجته، ومع أولاده، فيُعد هذا معياراً، لاختيار الصاحب، فمن نراه ناجحاً في علاقته مع زوجته وأولاده، نجده أيضاً إنساناً محبوباً واجتماعياً مع الجيران وغيرهم، مصداقا لقول رسولنا الكريم ﷺ: "**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي.**" (ابن ماجة،1982، ج1: ص636)

إنها رحلة سيدنا موسى والخضر (عليهما السلام)، والآداب التي كان يتمتع بها كلاهما، فكيف لا؟ وهما نبيان يُوحى إليهما من عند الله (تعالى)، فألزمهما الله (تعالى) بتلك الرحلة بغاية التزود بالعلم، فكان هناك آداباً تربوية كثيرة، من أهمها: حسن الصحبة في السفر، فكان نابعاً من طيلة صبر سيدنا الخضر على سيدنا موسى (عليهما السلام)، وأيضاً تواضع سيدنا موسى عليه السلام، له مع أنه أيضاً نبي واعظ بين قومه، وتحليه بالأدب في الحديث والاستئذان منذ البداية بأن يرافقه تلك الرحلة، فكل تلك السلوكيات والصفات التي قد تنبع من الأصحاب أثناء رحلاتهم وسفرهم، قد يحكم من خلالها الشخص على الآخر بأنه يصلح أن يكون رفيق دربه وحياته أم لا.

عاشراً: المعرفة بحقوق وواجبات الصحبة:

ينبغي أن يعلم كلا الصاحبين أن عليه حقوقاً واجبة تجاه صديقه، والتزامات مفروضة ألزمه بها الدين وأكدها ونص عليها في القرآن في غير موضع، ومن ذلك قوله (تعالى): ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ﴾. [النساء:36]

فقد تضمنت الآية معنى بليغاً، وهو ذكر الصاحب والتوصية به عطفاً على أمور هي من أصول الدين وأسسه، وعطف الإيصاء بالصاحب وأتبعه بأمور هي ذروة سنام هذا الدين، وفي مقدمتها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، والتوصية بالوالدين... الخ.

وكتب يحيى بن زياد الحارثي إلى عبد الله بن المقفع ملتمساً معاقدة الإخاء، والاجتماع على المخالصة والصفاء، فلما لم يجبه كتب إليه يعاتبه: "إن الإخاء رق، فكرهت أن أملكك رقي، قبل أن أعرف حسن ملكتك".

وقال رضي الله عنه: "لا تصحب إلا من تستطيع القيام بحقوقه...ولا يحوجك لطلب حقوقك... لكمال قيامه بها..."

وقال ﷺ: "من عول في إسقاط حقوق إخوانه على قبول العذر ... كان أقل ما يلقاهم بـــه الغش والمكر ..." (التوحيدي،1996: ص41)

حقيقة، عندما يعرف كل من الأصحاب ما له من حقوق وما عليه من واجبات، فتــصفو بذلك النفوس، ويذهب كل ما يمكن أن يكدرها، فيكون كل منهما يتجنب ما يكدر هــذا الــصفو، خوفاً من أن تذهب المحبة، فالحرص يكون من كليهما، واضحاً، فيظهر على ســلوكياتهم، فتبــدأ المؤازرة والمواساة، والتزاور والبعد عن الجفاء، والعفو عن الزلات والهفوات، فكل منا يخطئ، لكن من منا يسامح ويغفر.

الفصل الرابع

الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها الأصحاب في ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة

أولاً: الاجتماع على الحب في الله تعالى.

ثانياً: الوفاء والإخلاص في الصحبة.

ثالثاً: التزاور والتواصل بين الأصحاب.

رابعاً: مؤازرة الصاحب وقت الضيق.

خامساً: كتم أسرار الصاحب والستر عليه.

سادساً: الاعتدال في المحبة والتوسط في عشرة الأصحاب.

سابعاً: الإيثار بين الأصحاب.

ثامناً: التواضع ولين الجانب للصاحب.

تاسعاً: التحية وحسن الاستقبال للصاحب.

عاشراً: مراعاة آداب المجالسة مع الأصحاب.

حادي عشر: مناداة الصاحب بأحب الأسماء.

ثاني عشر: الدعاء للصاحب في حياته وبعد مماته.

ثالث عشر: وجوب التناصح والمشورة بين الأصحاب.

رابع عشر: اجتناب غيبة الصاحب.

خامس عشر: العفو عن زلات الصاحب، وتقبل أعذاره.

سادس عشر: الصبر على جفاء الصاحب.

سابع عشر: تبادل الهدايا بين الأصحاب.

الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها الأصحاب لضمان نجاح هذه العلاقة:

ما من شك في أن معرفة الأسس والآداب التي يجب أن تقوم عليها صداقاتنا وعلاقاتنا وإدراك حقيقتها وأبعادها، تُعد أدوم للتواصل، وأثبت للمودة.

فمن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة التي تحدثت عن الأخوة، والوقوف على آراء بعض العلماء المسلمين، يمكن إجمال أبرز تلك الركائز على النحو التالي:-

أولاً: الاجتماع على الحب في الله تعالى:

لقد تعددت العلاقات الإنسانية في المجتمع، فتعددت معها أبعادها والمرتكزات التي تقوم عليها تلك العلاقات، فهناك علاقات تبدأ مع مصلحة معينة، وسرعان ما تنتهي بانتهاء هذه المصلحة. والصداقة نوع من هذه العلاقات الاجتماعية الحميمة، هي معنى نبيل ورابطة حميدة، ولا شك أن الإنسان يحتاج إلى الصاحب كحاجته إلى الأب والأخ والابن مع التفاوت في هذه الدرجات، لذلك يجب أن يكون قوام تلك العلاقة ممزوجاً بالحب في الله والبغض فيه، حيث إنها من علامات الإيمان، بل وأشدها كما قال ﷺ :" **إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ** ." (ابن حنبل، 2001،ج30: ص488) وهي من أحب الأعمال إلى الله تعالى حيث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ**." (ابن حنبل،2001،ج35: ص229)

ذلك بأنه إذا أحببت إنساناً فيكون لكونه مطيعاً لله (تعالى)، وعاملاً بأوامره ونواهيه، فإذا عصى الله أبغضته في الله؛ لأن من أحب السبب أبغض لوجود ضده.

ولقد وصف الله (تعالى) رسوله والمؤمنين في حبهم وتراحمهم، حيث قال: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾. [الفتح:**29**]

{**وَالَّذِينَ مَعَهُ**} وهم أصحابه – وعلى رأسهم من شهد معه صلح الحديبية، وبايعه تحت الشجرة – من صفاتهم أنهم { **أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ** }، أي: غلاظ عليهم، وأنهم { **رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** } أي: أنهم مع إخوانهم المؤمنين يتوادون ويتعاطفون ويتعاونون على البر والتقوى. (الثعلبي، 2002، ج9، ص65)

في هذه الآية الكريمة تتجسد معاني الحب في الله وضرورة إظهاره للمحب، والصاحب؛ حيث أنه تجسد في التراحم، والتراحم سلوك ظاهر وواضح للإنسان من خلال تعامله مع المؤمنين فقط، أي أنه حب في الله، في طاعته فقط.

وليس هذا وحسب، بل حثنا معلمنا ﷺ على ضرورة إخبار الصاحب بمحبته له في الله، ليكون التواصل والارتباط أشد والإخلاص أعمق، حيث قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**إِذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ.**" (ابن حنبل،2001، ج35: ص220)

وعنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "**مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ جَالِسٌ فَقَالَ الرَّجُلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا فِي اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ قَالَ لَا قَالَ قُمْ فَأَخْبِرْهُ تَثْبُتْ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ أَنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ أَوْ قَالَ أُحِبُّكَ لِلَّهِ فَقَالَ الرَّجُلُ أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي فِيهِ** ". (ابن حنبل، 2001، ج21: ص169)

وفي المقابل يجب إظهار البغض في الله كما ذكر الله ﷻ في محكم التنزيل: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة:**22**] فكما كان التواد –هنا– سلوكاً واضحاً وظاهراً، أيضاً يجب قطع التواصل وإظهار البغض والغضب من تصرفاتهم، وارتكابهم المعاصي حتى لو كان صديقاً حميماً.

فيجب على كل مسلم أن يدرك مدى خطورة الحب أو البغض في الله؛ لأن الإنسان بمجرد إسلامه، يكون محاسباً على كل شيء حتى أحاسيسه ومشاعره، فيجب أن تكون حياته كلها لله (تعالى). وعلى كل مسلم يملأ الإيمان قلبه، من وقفات مع نفسه ليتساءل إلى أين هذه المشاعر ولمن؟! وهل فيها معصية لله (تعالى) أم تقرب منه.

وفي هذا الكلام، ما ذكره صاحب ((الإحياء)) عن ابن عمر ﷺ أنه قال: " والله لو أنفقت أموالي في سبيل الله، وصمت النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، ثم لقيت الله... لا أحب أهل الطاعة، ولا أبغض أهل المعصية، لخشيت أن يكبني الله على وجهي في النار". وقال ابن السماك عند موته: " اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك، كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك". (الغزالي، ب:ت، ج2: ص160)

فعقباها محمودة عند الله (تعالى)؛ إذ إنها تعد قربة من الله ﷻ، في يوم يحتاج المرء فيه إلى أقل الحسنات والأعمال التي ربما تنجيه من عذاب جهنم (والعياذ بالله)، يوم يتنصل كل امرئ من بنيه وذويه، يوم لا ينفع العبد فيه إلا عمله الطيب.

ثانياً: الوفاء والإخلاص في الصحبة:

وفى: الوفاء: ضد الغدر، يقال: وفى بعهده. (ابن منظور، ب:ت، ج15:ص398)

ومعنى الوفاء والإخلاص في الصحبة : الثبات على الحب إلى الموت، وبعد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه، وقد أكرم النبي ﷺ عجوزاً وقال: " **إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ**". (الحاكم، ب.ت، ج1: ص16)

ومن الوفاء أن لا يتغير على أخيه في التواضع، وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه. قال علي بن أبي طالب ﷺ: "قليل للصديق الوقوف على قبره" وقال أبو حاتم السجستاني: "إذا مات لي صديق سقط مني عضو". (التوحيدي،1996: ص39)

ويكون الوفاء –أيضاً– بالوفاء بالوعد، مما يزيد من أواصر المحبة، وتقوى بها الثقة، حيث يقول الثوري:" لا تعد أخاك موعداً فتخلفه فتستبدل المودة بغضاً"، وأنشد أبو نصر المروزي:

يا واعد الوعد الذي أخلفا   ما الخلف من سيرة أهل الوفا

ما كان ما أظهرت من ودنا   إلا سراجاً لاح ثم انطفا

(السلمي، 1990، ص54،53)

وإنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الدين، فقد كان الشافعي –رحمه الله– آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقربه ويقبل عليه، فلما احتضر قيل له: " إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه فقال: إلى أبي يعقوب البويطي"، فانكسر لها محمد، ومع أن محمداً كان قد حمل مذهبه، لكن البويطي كان أقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي –رحمه الله– المسلمين وترك المداهنة، فانقلب ابن الحكم عن مذهبه، وصار من أصحاب مالك.(الغزالي، ب.ت، ج2: ص188)

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا يصادق عدو صديقه أيضاً.

ثالثاً: التزاور والتواصل بين الأصحاب:

من الآداب التي تثبت المودة الإكثار من التواصل والتبادل والتزاور في سبيل الله، الذي بدوره يوطد العلاقات.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : "**أن رجلاً زار أخاً له في قرية فأرصد على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من**

نعمة تربها عليه؟ ــ أي تقوم بها وتسعى لإصلاحها ــ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه". (مسلم، ب:ت، ج8، ص12)

فمن المؤكد أن التزاور له واقع أثر على النفس البشرية، مما يدلل علـــى مـــدى القـــرب والتلاحم بين الأصحاب، وعليه –أيضاً– تحق محبة الله على المتزاورين والمتواصلين فـــي الله، كما جاء في الحديث القدسي المشهور: " **إذ يَقُولُ اللَّهَ ﷻ على لسان نبيه: قَـدْ حَقَّـتْ مَحَبَّتِـي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافُّونَ مِـنْ أَجْلِـي وَحَقَّـتْ مَحَبَّتِـي لِلَّـذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي**." (ابن حنبل، 2001، ج32: ص183)

والتزاور يطال التزاور لأجل التواصل وتوثيق المودة، في جميع الأحوال، فـــي اليـــسر والفرح والشدة والضيق، فمن الأولى أن تكون زيارة أو عيادة المريض، حيث دعا الإسلام لهـــا، فهي واجبة على كل أخ، فللصاحب أولى وأشد " فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـــهِ ﷺ يَقُولُ: " **حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَـــاعُ الْجَنَـــائِزِ وَإِجَابَـــةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**." (البخاري،2001،ج2: ص71)

وكان ﷺ إذا عاد مريضاً دعا له، وجلس قليلاً عند رأسه، ووضع يـــده الكريمـــة علـــى صدره، وهذا من الأنس والملاطفة. (القرني،2002 : ص85)

ورغب الإسلام بذلك التزاور والعيادة للمريض بأن جعل ثوابها الجنة، وأجراً فـــي كـــل خطوة يخطوها لذلك، كما جاء في الحديث النبوي الشريف حيث قَالَ ﷺ: "**مَنْ عَـادَ مَرِيـضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًـــا**." (الترمـــذي، 1998، ج3، ص538)

فقد كان الشافعي ﷺ آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول: ما يقيمني بمصر غيره؛ فاعتل محمد فعاده وَأَنْشَدَ الشَّافِعِيُّ ﷺ :

مَـــرِضَ الْحَبِيبُ فَعُدْتُهُ	**فَمَرِضْت مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ**
فَأَتَى الْحَبِيبُ يَعُودُنِي	**فَشُفِيتُ مِـــنْ نَظَرِي إلَيْهِ**

ومن **آداب العائد،** أن يضع يده على المريض، يسأله كيف هو، ويخفف الجلوس، ويظهر الرقة، ويدعو له بالعافية، ويغض البصر عن عورات المكان.(ابن مفلح، 1999، ج2: ص190)

فما قاله الشافعيﷺ في أبياته السابقة، إنما إن دل فيدل على مدى التلاحم، وشـــدة هـــذه العلاقة بحيث أصبحا نفساً واحدة، بل جسداً واحداً، بأن يمرض لمرض صـــاحبه، وبمجـــرد أن

يرى كل منهما الآخر يشفى صدره ويبرأ من مرضه، فسبحان مؤلف هذه القلوب علـــى المحبـــة والمودة!

رابعاً: مؤازرة الصاحب وقت الضيق:

لا شك أنه من الضروريات وأهم الركائز التي تقوم عليها الصحبة القوية، بـــذل الجهـــد والعطاء، والوقوف بجانب الصاحب لا سيما وقت الضيق، ومشاركته أفراحه وأتراحـــه، بجميـــع الوسائل الممكنة، ومثاله ما روي عن الرسول ﷺ عندما سُئِلَ:" **يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَصْحَابِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا ذَكَرْت أَعَانَك وَوَاسَاك، وَخَيْرٌ مِنْهُ مَنْ إِذَا نَـــسِيت ذَكَّـــرَك.**" (**المـــاوردي**،1978: ص177)

حيث إنها تختبر مدى قوة الصحبة، وتكشف عنها وقت الشدائد، حيث يعرف الـــصاحب الوفي من الزائف. ومن حق صاحبك عليك أن تكره مضرته، وأن تبادر إلى دفعها فـــإن مـــسه الأذى شاركته الألم، وشعرت معه بالحزن، أما أن تكون ميت العاطفـــة قليـــل الاكتـــراث؛ لأن المصيبة وقعت بعيداً عنك، كأن الأمر لا يعنيك، فهذا حقاً تصرف لئيم.

حيث قال الشاعر:

وكل أخ عند الهوينى ملاطف ولكنما الإخوان عند الشدائد

(الغزالي،1974: ص166)

وقال موسى بن جعفر –رضي الله عنهما– :"خير إخوانك المعين لك على دهرك، وشرهم هو لك لسوق يوم". (التوحيدي، 1996: ص42)

فمن المؤكد عندما نجد الصاحب وقت الشدة والضيق، نجده هو من واسانا ووقف معنـــا، سيزيد حتماً من أواصر المحبة والمودة، ودوام التراحم والتواصل فيما بين الأصحاب.

حيث قامت الباحثة بتصنيفها إلى مستويين، كالآتي:

أ- المؤازرة المادية:

وهي نوعان:

1- المؤازرة بالنفس:

وهي أقوى المساعدات، حيث إن الصاحب يفتدي صاحبه بنفسه، ويخوض معه الصعاب والأخطار مهما كانت، ويتحمل نتائجها دون ضيق أو حرج . ولدينا نموذج واضح في الـــسيرة

النبوية الشريفة أنه لما انتاب الصدّيق الحزن والقلق، وهو مع النبي ﷺ مصاحبه في الغار، خفف عنه وواساه مصداقاً لقوله ﷻ:﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [التوبة:40]

وهذا الخلق من الصاحب الوفي الذي لازمه عندما تخلى الجميع عن صاحبه، وطارده الكفار يريدون قتله، إذ هو يدخل قبله الغار ليلتمس لنبي الله ﷺ الأمن والأمان، خوفاً عليه من أفعى سامة، أو وحش كاسر، وهو على يقين بمدى خطورة الموقف، ورغم ذلك أبى إلا أن يكون معه في ذلك الموقف الصعب.

2- المؤازرة بالمال:

حقيقة، الأموال تأتي في الدرجة الثانية بعد الأنفس، وربما يتساويان؛ فالمال والنفس عزيزتان، والبذل والعطاء بهما يحتاج إلى تدريب ومران للنفس البشرية؛ حيث حث الإسلام على ضرورة بذل المال بأشكال متنوعة، كي يدرب عليها النفس البشرية وتصبح سلوكاً، ومن ثم عادة طيبة، وجاء البذل على شكل الزكاة، وهي فريضة على كل مسلم، ومن ثم الصدقات، والإنفاق في سبيل الله (تعالى). وقد جاء ذلك في الحديث النبوي الشريف حيث قَالَ ﷺ: " **أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.** " (النسائي، 2001، ج8: ص280)

فكثير منا يضيق به الحال ويحتاج إلى من يقف بجانبه بالمال، ولو بالقليل، فيكون أقرب الناس إليه ممن يرجو أن يساعده وينفس عنه كربته، ومن الأصحاب -كثيراً- ما يقومون بتلك المساعدة دون الطلب منهم بمجرد أنه الوحيد المطلع على حال صديقه، ويعرف ظروفه ومشاكله بحكم درايته بأسراره. ولقد حث معلمنا على هذا الشيء بل ورغب به حيث قال ﷺ :"**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.**" (الترمذي، 1998، ج3: ص487)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**اصْنَعُوا لِأَهْلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ.**" (الترمذي، 1998، ج2: ص 312) .

وهذا يعد جانباً من جوانب بذل المال للصاحب في وقت ضيقه؛ حيث إنه منشغل في مصيبته، وربما عليه التزامات مفاجئة لتكاليف العزاء وما شابه، لم تكن بالحسبان لديه.

وإما أن يكون قرضاً، وإذا أقرضت صاحبك ثم وجدته معسراً فعليك أن تمهله، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:**280**]، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: " **تَلَقَّتْ الْمَلائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا أَعَمِلْتَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا قَالَ كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُوسِرِ قَالَ فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ**." (البخاري، 2001، ج3: ص58)

وفي حكاية بين السلف أنه عندما مرض قيس بن سعيد بن عبادة" فأبطأ إخوانه عنه، فسأل عنهم، فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله ما يمنع الإخوان من العيادة، ثم أمر منادياً فنادى؛ ألا من كان لقيس عليه حق، فهو منه حل وسعة، فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده." (التوحيدي، 1996: ص45)

وقال بزرجمهر: " الإخوان كالسلاح فمنهم من يحب أن يكون كالرمح يطعن به من بعيد، ومنهم كالسهم يرمي به ولا يعود إليك، ومنهم كالسيف الذي لا ينبغي أن يفارقك." (الآبي، 2004، ج7: ص32)

فمما لا شك فيه، أن الصاحب يكون أكثر اطلاعاً على حال صاحبه، نظراً لدوام ملازمته إياه أغلب الأوقات، واطلاعه على أسرار ودقائق حياته اليومية، مما يجعل الصاحب أقرب الناس وألزمهم إلي صاحبه ليقف معه ويصبر على عسرته، فكل هذا يزيد من عمق وتلاحم تلك العلاقات الاجتماعية الحميمة.

ب: المؤازرة المعنوية:

وهي المشاركة الوجدانية للصاحب، بحيث يتمثل حاله، يفرح لأفراحه، ويضيق لضيقه وشدته، ويبكي عند بكائه، وليس هذا وحسب، بل التخفيف عنه وقت الشدة –أيضاً– بمواساته ببعض ما يثلج به صدره من كلمات، كتذكيره بمواقف شدة له تخطاها من قبل، أو مواقف لغيره، وبالأجر في الدنيا والآخرة، فقد كان الله (تعالى) يسلي عن نبيه حين يشتد كربه وهمه بتذكيره بما نال الأنبياء قبله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:**35**] وقوله، أيضاً: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:**120**] وكل هذا لا يقل أبداً أهمية عن المواساة المادية بالنفس والمال، فهو يعد تنفيساً لكربة المسلم، وهو مثاب على هذا ومندرج تحت قوله ﷺ:" **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**." (الترمذي،1998، ج3: ص487)

وهذا واجب على كل مسلم حيث قَالَ ﷺ:" **الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**". (مسلم، ب:ت، ج8، ص20)

فلنتأمل مدى فرح الصحابة لما نزلت توبة كعب بن مالك ﷺ، وتدافعهم لتهنئته وتبشيره، لما ورد عن كعب ﷺ فقال:" **فلما صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ التي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَىَّ نَفْسِى وَضَاقَتْ عَلَىَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ - قَالَ - فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. - قَالَ - فَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَىَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَىَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِى وَأَوْفَى الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِى الَّذِى سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِى فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَىَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ. فَلَبِسْتُهُمَا فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّانِى النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِى بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ في الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِى وَهَنَّأَنِى وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ. قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لاَ يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ». قَالَ فَقُلْتُ أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَالَ « لاَ بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ - قَالَ - وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.**" (مسلم، ج8، ص105)

فالمشاركة والمؤازرة بالفرح لفرح الصاحب، وتهنئته، والمسابقة في المباركة له، ويندرج تحت ذلك التهنئة للصاحب بزواجه، وبأن يأتيه مولود جديد أو تهنئة بالحج والنجاح، وغيره من المناسبات السارة.

ومنه أيضاً المواساة والإعانة على ذكر الله، والتقرب منه، وتذكيره به كلما نسي حيث قيل: يا رسول الله، أي الأصحاب خير؟ قال: " **الذي إذا ذكرت أعانك وواساك، وخير منه من إذا نسيت ذكرك**". (الماوردي، 1978: ص177)

ومن المواساة ما نوهنا عنه سابقاً، وحدة الحال والمشاعر، حيث هناك نماذج في السلف تصف مدى التآزر ووحدة الحال:

وخير مثال لذلك : في قصة أسرى بدر حدث عمر بن الخطاب ﷺ قال:" ...**فغدوت إلى النبي وأبي بكر وهما يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما** ." (الجوزي، 1983،ج3: ص 379)

سبحان الله، هذا ما يحتاجه الأصحاب في بعض الأوقات، فالكثير يفتقد إلى هذه الرقائق، وذلك الحنو، وشفافية المشاعر.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ :" خير إخوانك من واساك، وخير منه من كافاك" أي جعلك مساوياً في جميع ماله.

وكان أبو هريرة ﷺ يقول:" اللهم إني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي إلا بموافقة شهوتي، وممن ساعدني على سرور ساعتي، ولا يفكر في حوادث غدي." (الماوردي، 1978: ص177)

وقال ابن عائشة ﷺ : " جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك." (أبي الحديد، ب:ت، ج20:ص 344)

فلا بد للمؤمن أن يصبر ويحتسب عند وقوع الابتلاء عليه، ولا يجزع، لكن العكس تماماً عندما تكون المصيبة والبلاء عند الصاحب، فلا بد –هنا– من إظهار الجزع لمصيبة الصاحب، وأن يشعره بأنه –قلباً وقالباً– معه. بل ويسانده ويبدي استعداداً لمعاونته على تخطي تلك الصعاب، بالإيمان والصبر والتحدي، مما يزيد المحبة والألفة، فيما بينهما.

وفي هذا المثال –أيضاً– نوع آخر من المواساة، وضرورة إبداء التضامن الوجداني والمادي مع الصاحب وقت الشدة، وذلك فيما قال ابن مبادر:" كنت أمشي مع الخليل فانقطع شسع نعلي فخلع نعله فقلت له: ما تصنع ؟ قال: أواسيك بالحفاء! والشسع:هو قبال النعل وهو زمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها." (الآبي،2004، ج7: ص80)

وهذا إنما يدل على تلك الدرجة والرقي الذين وصل إليهما أولئك الأصحاب، إذ المواساة بالحفاء! فهذه قمة التضامن الوجداني الذي تحول إلى أفعال، وهذه الرقائق الجميلة، يُحن جميعاً إليها، ونتمناها مع من هم أقرب الناس إلينا، لا سيما مع أهل البيت، وأيضاً كم هو جميل بأن يُشعر المعلم طلابه بأنه قد يصل إلى هموم كل واحد منهم، وأنه متضامن معهم وجدانياً في أفراحهم وأتراحهم، يهنئهم ويواسيهم ويستوعب كل ما لديهم من مشاعر.

خامساً: كتم أسرار الصاحب والستر عليه:

لا شك أن كتمان الأسرار، وغض البصر عن عيوب ومثالب الصاحب، من أقوى أسباب النجاح وأدومها لأحوال الصلاح لتلك العلاقة. فكل ما يحدثك به الصاحب، وما يقوم بفعله أمامك، وما تراه في منزله فهو أمانة لا يحل لك هتكها أو إفشاؤها، ولما روى عن النبي ﷺ: " **إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِالْأَمَانَةِ فَلا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ** ". (الهندي،1985، ج9: ص144)

وقال ﷺ: "**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**. " (ابن حنبل، 2001، ج23، ص297)

حيث سبب الالتفات –هنا– الحرص بألا يسمع حديثهما أحد، فليفهم أنه أصبح مجرد الالتفات سراً، فيكون أمانة لديه بألاّ يفشي بهذا السر مهما حصل.

وقال ﷺ: " **مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ**." (ابن ماجة، 1998، ج4: ص151)

حيث إن هذه الصفة تُعدّ من أهم المعايير التي يصطفى عليها الأصحاب، وفي ذلك قال أحد العلماء: " لا تصحب من الناس من لا يكتم سرك، ويستر عيبك، ويكون معك في النوائب، ويؤثرك في الرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك." وقيل لبعض الأدباء: "كيف حفظك للسر؟ قال: أنا أقبره." وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار. وقيل: إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه، أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به. فمن هنا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم، بل عن مشاهدتهم.

وقال ابن المعتز:

ومستودعي سراً تبوأت كتمه   فأودعته صدري فصار له قبرا

وأفشى بعضهم سراً له إلى أخيه ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت. وكان أبو سعيد الثوري يقول:" إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيراً وكتم سرك فاصحبه. وقيل لأبي يزيد:" من تصحب من الناس؟ قال: من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله. وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها" . وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند

غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه. "(أبو طالب، 2005، ج2: ص378)، بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال، ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرَّم وصْلُه   يخفي القبيح ويظهر الإحسانا

وترى اللئيم إذا تقضَّى وصْلُه   يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقيل لأعرابي: "من أكرم الناس عشرة؟ قال: من إنْ قرب منح، وإنْ بعد مدح، وإنْ ظلم صفح، وإنْ ضويق فسح، فمن ظفر به فلقد أفلح ونجح". (التوحيدي، 1996: ص39)

ولأبي حامد الغزالي في الإحياء كلام جميل في هذا الأدب، يقول:" فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين، ويكفيك تنبيهاً على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله (سبحانه وتعالى) وُصِفَ به في الدعاء، فقيل: يا من أظهر الجميل وستر القبيح. والمرضي عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستّار العيوب وغفّار الذنوب ومتجاوز عن العبيد، فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو، بكل حال، عبدك ولا مخلوقك، وقد قال سيدنا عيسى (عليه السلام) للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه؟ قالوا: نستره ونغطيه، قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها، واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوئ والعيوب، ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه، فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله، وستر عيب الصاحب أو الجار إذا انكشف شيء منه واجب، وإفشاؤه وكشفه فضح له وإيذاء عظيم، فما لنا بتتبع العورات". (الغزالي، ب:ت، ج2: ص178)

وقال ﷺ :"**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الإيمَانُ قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ.**" (ابن حنبل، 2001، ج33: ص40) ومما لا شك فيه أن إفشاء الأصحاب لأسرار بعضهم، وتتبعهم عورات بعضهم، كفيل بأن يهتك ويفكك أي علاقة، مهما بلغت شدتها؛ حيث إن كتمان الأسرار وستر العيوب، يعد من أهم الركائز التي تقوم عليها أي صحبة فاعلة وقوية.

سادساً: الاعتدال في المحبة والتوسط في عشرة الأصحاب:

الاعتدال في المحبة، والاقتصاد في المديح، والإنصاف في المعاملة، والتوسط في المعاشرة، والالتزام بالشرع في المخالطة. كل هذه أسس تساعد على استمرارية ودوام تلك

الصحبة؛ حيث ينبغي أن يتوقى الإفراط في المحبة، فإن الإفراط داع للتقصير، ولأن تكون الحال بينهما نامية، أولى من أن تكون متناهية.

وحيث إن التوسط والاعتدال خاصية بارزة من خصائص الشريعة الإسلامية كما ورد في محكم التنزيل: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾. [البقرة:**143**]

وهذا الاعتدال له حكمة بالغة الأهمية في رسم نوعية العلاقات، بين الناس وتحديد مستواها ومداها، كم من أعداء ألف الله بين قلوبهم فأصبحوا إخواناً وأصحاباً، حيث القلوب بين إصبعي الرحمن يقلبها كيف يشاء -كما جاء في محكم التنزيل- : ﴿ **عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾. [الممتحنة:7] "

وربما صاحب وحبيب، يتنكر لي يوماً، فيصبح عدوي، وتنقلب كل المودة لبغض وكراهية حيث قَالَ النبي ﷺ: "**أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا.**" (الترمذي، 1998، ج8، ص532) أي أحببه حباً مقتصداً لا إفراط فيه ولا تفريط، لربما انقلبت المحبة بتغير الزمان بغضاً، فلا تكون وقتها أسرفت في حبه فتندم ندماً شديداً عليه إذا أبغضته.

ولا تكن في حبك كما قال ﷺ :"**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**". (أبو داود، ب:ت، ج4: ص496) فلا ترى شيئاً، من شدة الحب فتعمى عن الحقائق، وربما تظلم آخرين، وهذا ما ننصح به المربين عامة، سواء الأب والأم مع أبنائهم، أو المعلم مع طلابه، بألا يكون حبهم لشخص معين، يعميهم ويجعلهم يغضوا الطرف عن أخطائه وزلاته، التي يجب أن يكون له موقف عندها، لكونه مربياً ومعلماً وقدوة حسنة لغيره. قال عمر بن الخطاب ﷺ: "لا يكن حبك كلفاً، ولا تبغضك تلفاً." والكلف شدة التعلق بالشيء، والتلف: الإهمال.

وأنشد أبو الأسود الدؤلي قائلاً :

أحبب إذا أحببت حباً مقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت نازع

وابغض إذا أبغضت غير مباين ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

(الماوردي: 1978ص178)

سابعاً: الإيثار بين الأصحاب:

والإيثار يعني تقديم الصاحب على الذات. فتعطي له ما أنت أحوج إليه منه، وتقدم حاجته على حاجتك، وتبذل الغالي والنفيس من أجله. حيث قال تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾. [الحشر:**9**]

واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه، فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلى صاحبه، فقال له: يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم مني فقال: "**ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه**". (الألباني، 1992، ج1، ص247)

فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة.

ويؤيد ذلك ما روي عن عَلِيٍّ قَالَ، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يَا عَلِيُّ أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي وَأَكْرَهُ لَكَ مَا أَكْرَهُ لِنَفْسِي لا تُقْعِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ** ." (الترمذي، 1998، ج1، ص315)

وهنا نجد الرسول ﷺ يربي فينا خلق الإيثار، في أن تسعى إلى صلاح صاحبك، وتدله على خير الأعمال، وتزجره عما فيه فساد لأمره.

قال أبو سليمان الداراني: " لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له." ولنا أيضاً في تلك القصة المشهورة شواهد عديدة يقول عَنْ أَبِي الْجَهم بْنِ حُذَيفَةَ الْعَدَوِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ :" انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي، وَمَعِيَ شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ وَإِنَاء فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَاقٌ سَقَيْتُهُ مِنْ الْمَاءِ وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آه فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَيهِ فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرِو بْنُ الْعَاصِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ :أَسْقِيكَ فَسَمِعَ آخَر يَقُولُ: آه فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتْ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتْ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ".(ابن عساكر، 1995، ج38: ص180)

تأملوا كيف فضل كل من هؤلاء الموت عطشاً، عن أن يسبق أخاه في الشراب، فهذا قمة الإيثار حقاً أن يفتدي الإنسان بنفسه، في سبيل الله (تعالى)، وهنا إيثار الأخ لأخيه، فالإيثار للصاحب مماثل له.

ونرى –أيضاً– عندما خرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل، فتناول رسول الله ﷺ الثوب، وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة رضي الله عنه وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا

تفعل فأبى (عليه الصلاة والسلام) إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل وقال ﷺ: "**ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحنهما إلى الله أرفقهما بصاحبه**". (أبو الفضل،1995، ج1، ص473)

وروي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائباً، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن، فجعل يأكل فقال له مالك: كف يدك حتى يجيء صاحب البيت، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً فدخل الحسن وقال: يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنت وأصحابك. وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة، كيف وقد قال الله (تعالى): "أو **صديقكم**" وقال: "أو **ما ملكتم مفاتحه**" إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله (تعالى) هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

ويصدق في ذلك ما قاله المأمون :

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا صرف زمان صدعك بدد شمل نفسه ليجمعك

(التوحيدي، 1996: ص50)

ثامناً: التواضع ولين الجانب للصاحب:

فالتواضع والرفق مع الإخوان والأصحاب والرحمة بهم، من ركائز دوام المودة وصفائها، فقد وصف الله (تعالى) نبيه محمداً ﷺ بحسن الصحبة والعشرة قائلاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:**159**]وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:**128**] ولقد وصف الله (تعالى) حال المؤمنين بعضهم مع بعض، ومع الكافرين، وما لتلك العلاقة بين الأخوة والأصحاب مِنْ قدسية ومكانة كبيرة، عن باقي العلاقات بين الناس، بينها الله ﷻ في كتابه العزيز قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [المائدة:**54**]

فتلك هي صفات جيل النصر والتمكين، أن يكونوا مؤمنين رحماء فيما بينهم، أشداء على الكافرين. كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا** ﴾. [الفتح:**29**]

يتبين في الآية الكريمة كيف قدم تراحمهم على عبادتهم وتهجدهم وابتغائهم الفضل من الله. ولقد رغب ﷺ في تليين القلوب للإخوان والأصحاب وقال:" **حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنْ النَّاسِ**." (ابن حنبل، ب:ت، ج1، ص415)

فممكن أن تأخذ كل ما تريده بالرفق، حيث إن الغلظة لا تجدي نفعاً في بعض الأوقات، بل وتولد مشاحنات، وعناد، وتوغل في الصدور البغضاء.

فلا تكن مثل ما قال عبيد الله بن قيس الرقيات "يستأسدون على الصديق وللعدو ثعالب". (التوحيدي،1996: ص47)

وقال أبو الدرداء ﷺ:" معاتبة الأخ خير من فقده، ومن لك بأخيك كله، أطع أخاك، ولن له، ولا تسمع فيه قول حاسد وكاشح، غداً يأتيك أجله فيكفيك فقده، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله؟". (التوحيدي،1996: ص48)

ومن الواجب ترك المراء؛ لأنه يثير العداوة والبغضاء، ويعكر صفاء المودة والألفة بين الأصحاب. حيث قال ﷺ : "**لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه**". (الترمذي، 1998، ج3، ص531)

وحتى تبقى تلك العلاقة وتدوم، يجب ألا يعكر صفوها مثل تلك الأمور، التي ربما يتهاون بها الكثير، ولا يبالي لها، لكن عندما تحدث معه مثل هذه المواقف لا يرضاها لنفسه.

وكم هي كثيرة تلك المواقف في حياتنا، فنجد المناقشات السياسية وكثرة الأحزاب، والتعصب في عالمنا العربي والإسلامي خاصة، يثير الكثير من الجدل حول تلك الأوضاع، مما تكون له آثار غير محمودة، مثل النزاعات والانشقاقات في الصفوف الداخلية.

تاسعاً: التحية وحسن الاستقبال للصاحب:

والتحية: مصدر حياه يحييه تحية، ومعناه في اللغة : الدعاء بالحياة، فيقال : حياك الله، أي أبقاك. (ابن منظور، ب:ت، ج2: ص1079)

ثم توسع في إطلاق التحية على كل ما هو في معناها من الدعاء الذي يقال عند الالتقاء ونحوه . والتحية أعم من السلام، فالسلام نوع من أنواع التحية .

والإسلام قدّس التحية و السلام، فجعله اسماً من أسماء الله الحسنى، التي أمر النـــاس أن يدعوه بها كما في قوله (تعالى): ﴿ **هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾. [الحشر:23]

والسلام، هو التحية التي أنزلها الله على رسوله ﷺ، وهي تحية أهل الجنة أيــضاً وهــي التحية التي رضيها الله لعباده، حيث أشارت إليها التربية الإسلامية فــي مواضــع عــدة نظــراً لأهميتها ومدى الآثار التربوية التي قد تعود على الأفراد، ومن ثم المجتمــع المتــرابط والــذي تسوده المودة والمحبة؛ حيث إن إفشاء السلام يزيد من أواصر تلك المحبة، مما يحافظ على دوام الصحبة، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْــنَكُمْ**". (أبــو داود، ب:ت، ج4، ص516)

حيث إنه يزيل الضغائن والمشاحنات، ويلقي في النفس محبة للأشخاص، لــذلك حبــب الإسلام فيه كثيراً، وجعل ثوابه أكبر عند الله ﷻ، كما قال ﷺ: "**مَا مِنْ مُــسْلِمَيْنِ الْتَقَيَــا فَأَخَــذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَحْضُرَ دُعَاءَهُمَا وَلَا يُفَرِّقَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى يَغْفِــرَ لَهُمَا**". (ابن حنبل، 2001، ج19، ص436)

وجعل في الابتسامة صدقة، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ** ". (الترمذي، 1998، ج3، ص506)

وإفشاء السلام أيضاً يعد من أهم ركائز الأخوة والمحبة، ولا تتم الأخوة إلا بإفشاء السلام فيما بينهم، كما أشار الحديث النبوي :" **أَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ ﷻ**." (النسائي، 2001، ج5، ص415)

وقال عمر رضي الله عنه : " ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وأن توسع له فــي المجلس وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه" . (البخاري، 1986، ج7: ص352)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَــالَ:" هُــوَ بَــسْطُ الْوَجْــهِ وَبَــذْلُ الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الْأَذَى." و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ:" **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَــرَ تَبَــسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**." (الترمذي،1998، ج6: ص30)

فقدوتنا ومعلمنا محمد ﷺ، كان يتبسم دائماً، وما ضاعت هيبته في قلوب أصحابه وأهــل بيته، بل العكس فقد كان أكثر هيبة وحباً وحناناً.

كما أنه واجب على الصاحب، إذا أراد سفراً أن يسلم على إخوانه ويزورهم، وربما الحكمة من ذلك أنه ربما كان لأحدهم حاجة في وجهه الذي يتوجه، حيث قال ﷺ : "**إذا سافر أحدكم فليسلم على إخوانه فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيراً.**" (السلمي،1990، ج1، ص113)

وليس هذا وحسب، فالبشاشة وطلاقة الوجه مطلوبان بين الأصدقاء والإخوان، وحسن الاستقبال، سواء لقيته صدفة في الشارع، أو زارك في بيتك، بحيث تعبر له عن مدى سعادتك بلقائه، قد يحسبه البعض قليلاً أن تبتسم في وجه أخيك، كما قال النبي ﷺ :" **لا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ.**" (مسلم، ب:ت، ج8، ص37)

لو أردت أن تشتري بأموالك قلوب الناس ما امتلكتها، ولو بكنوز الأرض كلها، ولكن بابتسامة بسيطة، وحسن معاملة تمتلك قلوب الكثير، وهذه كانت سياسة الرسول ﷺ مع أصحابه، فقد عزز هذا الجانب؛ فكان أكثر الناس تبسماً في وجه أصحابه، وذكر الله (تعالى) ذلك في محكم التنزيل: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾. [آل عمران:159]

وعلى أهل البيت، والآباء بالأخص، أن يبشوا بوجه أصحاب أولادهم اقتداء برسول الله ﷺ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:" **كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي.**" (البخاري، 2001، ج8: ص31)

وأيضاً في السياق نفسه، أن عَائِشَةَ قَالَتْ:" **كُنْتُ أَلْعَبُ بِاللُّعَبِ فَيَأْتِينِي صَوَاحِبِي فَإِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَرْنَ مِنْهُ فَيَأْخُذُهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَرُدُّهُنَّ إِلَيَّ.**" (ابن حنبل، 2001، ج42: ص204)

ومما سبق يتبين لنا قيمة هذا المنهج النبوي الرباني، الذي يعلمنا كيفية التعامل مع أصدقاء أبنائنا، بحيث نشجع التفاعل الاجتماعي، سواء كان بالدراسة أو اللعب أو الزيارة العادية والتحدث، بحيث يكرموا أصدقاء الأبناء، ولكن مع بعض التوجيه والمراقبة في اختيارهم، وتنظيم أوقات الزيارات واللعب والتفاعل الاجتماعي.

عاشراً: مراعاة آداب المجالسة مع الأصحاب:

من الطبيعي أن تكثر المجالسة بين الأصحاب، لا سيما في أوقات الفراغ، والدراسة أيضاً، والزيارات والمناسبات، فإن التزاور -كما ذكرنا سابقاً- يُعد من الركائز الأساسية التي توطد العلاقات، وتبقي على المودة وصلها.

فالمرء تراه دائماً يجالس من يحبهم، ويطرب إلى سماع حديثهم، وهي أيضاً من صفات المؤمنين حيث قال الله ﷻ في محكم التنزيل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ**﴾. [المجادلة:11]

وقال عمرﷺ:" ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وأن توسع لـه في المجلس وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه." (البخاري، 1986، ج7: ص352)

وقال أبو بكرﷺ :" حق الجليس إذا دنا أن يرحب به، وإذا جلس أن يوسع له، وإذا حدث أن يقبل عليه، وإذا عثر أن يقال، وإذا أنقص أن ينال، وإذا جهل أن يعلم." (التوحيـدي، 1996: ص62)

فكان لا بد من ذكر بعض آداب المجلس على النحو التالي:-

- **أن يفسح الصاحب لصاحبه:**

حيث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"**لا يَقُومُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ مِنْ مَجْلِسِهِ وَلَكِنْ أَفْسِحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ**." (ابن حنبل، 2001، ج16، ص186)

فبمجرد أنه رآه قادماً من بعيد، أفسح له مكاناً بجانبه، فذلك السلوك له آثار على النفس مما يزيد المحبة، فهو يبين مدى اهتمام الصاحب بصاحبه، واحترامه له.

- **الابتعاد عن الجلوس على الطرقات:**

كما أوضح رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حينما قال: " **إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ**." (البخاري، 2001، ج8: ص51)

- **تجنب المناجاة للاثنين :**

وجاء النهي عن التناجي في وجود ثلاثة، كي لا يوغر في القلوب كرهاً أو حقداً، كما بيّن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في قوله: " **إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُهُ**." (مسلم، ب:ت، ج7: ص12)

- **اجتناب الخوض فيما يعصي الإله:**

ويأتي النهي عن الخوض فيما يعصي الإله مصداقاً لقوله (تعالى):﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:68]

و يجب تجنب مجالسة أهل النجوم والأهواء؛ حيث إن جلستهم تغمرها الضلال والفسق، وربما الوقوع في الشرك، ومعصية الله (تعالى).

- **التأدب في المحاورة:**

الإنصات للمتحدثين، والابتعاد عن الجدال والمراء. فعلى الصاحب أن يتحرز من كثرة الخلاف مع أصحابه، بل عليه أن يتحرى موافقتهم فيما يرى ما لم يكن مخالفاً للكتاب والسنة. حيث إن الدنيا أقل بكثير مما أن نخسر أخواننا، ولقد قال يحيى بن معاذ:" الدنيا بأجمعها لا تساوي غم ساعة فكيف بغم طول عمرك فيها وقطع إخوانك بسببها مع قليل نصيبك منها."، وعن جويرة بن إسماعيل قال: "دعوت الله أربعين سنة أن يعصمني من مخالفة الإخوان." (السلمي، 1990: ص75)

- **إلقاء السلام عند الدخول للمجلس وعند الانصراف.**
- **أمانة المجالس حفظ الأسرار.**
- **ذكر دعاء كفارة المجلس:**

يجب على الأصحاب، عند الانتهاء من المجالس، أن يستغفروا الله عز وجل، على ما كان في المجلس من لغط، وحوارات قد دارت بين المتجالسين لذلك كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ :" **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.**" **فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى. قَالَ :" كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ.**" (أبو داود، ب:ت، ج4: ص415)

حادي عشر: مناداة الصاحب بأحب الأسماء:

ومما يجلب الود ويقوي المحبة، أن تدعوه بما يحب أن تناديه به من الأسماء، حيث قال الرسول ﷺ :" **إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ**". (الترمذي، 1998، ج4: ص199)

مما لا شك فيه أن التواصل والزيارات تحتاج إلى أن يكون الصاحب لديه معلومات كافية عن صاحبه، أي لزوم معرفته ومعرفة عائلته ومكان سكنه وشهرته، على هذا النحو مما يزيد الثقة المتبادلة بين الأصحاب والإخوان. وقال عمرﷺ: " ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وأن توسع له في المجلس وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه." (البخاري، 1986، ج7: ص352)

ولقد نهى الله –سبحانه وتعالى- عن التنابز بالألقاب، حيث قال ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾. [الحجرات:**11**]

فدعوة الصاحب باسم يكرهه مما يزعج النفس، ويثير ضائقتها، ويجلب البغض والنزاع، وقد تقدم قول عمر(رضي الله عنه) في هذا، أن دعوة الصاحب بأحب أسمائه وألقابه مما يصفي الود، ويقوي علائق الحب.

ثانِ عشر: الدعاء للصاحب في حياته وبعد مماته:

فإن الدعاء للإخوان يقوي الود، ويبعد الحسد، ويدفع هاجس الشيطان عنهما، والدعاء للإخوان من سمات الصالحين، كما حكى الله (تعالى) عن سلفنا المهديين في قوله (تعالى): ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾. [الحشر:**10**]

كما إن الدعاء للصاحب إنما يكون في حياته وبعد مماته أيضاً، بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به، فتدعو له كما تدعو لنفسك فقد قال ﷺ: " **إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لأخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ** " (أبو داود، ب:ت، ج1: ص563) وفي لفظ آخر: يقول الله (تعالى): "**بك أبدأ يا عبدي**"، وفي الحديث: "**يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه**"، وفي الحديث "**دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد**". (أبو الفضل، 1995، ج1: ص48)

وكان أبو الدرداء ﷺ يدعو لخلق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم. وكان أحمد بن حنبل (رحمه الله يدعو) في السحر لستة نفر.

وكان يقول أيضاً ﷺ:" إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم". وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول:" وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى"، وكان الأخ الصالح يقتدي بالملائكة، إذ جاء في الخبر: "إذا مات العبد قال الناس: ما خلف؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟"، يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه". (الغزالي، ب:ت، ج2: ص186)

فمن بلغه موت أخيه فترحم عليه وأستغفر له فكأنه مشى في جنازته وترحم عليه. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو أخ أو قريب.**" (أبو الفضل، 1995، ج1: ص481)

وأنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال. وقال بعض السلف: " الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من أخيك فلان، من عند قريبك فلان، قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية" . (الغزالي، ب:ت، ج2: ص186)

ثالث عشر: وجوب التناصح بين الأصحاب، والمشورة:

أ- وجوب إسداء النصيحة بين الأصحاب:

تعد النصيحة دعامة من دعامات الإسلام، حيث قال الله ﷻ في كتابه العزيز:﴿ **وَالعَصْرِ* إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: **1- 3**} فَاسْتَثْنَى مِنْ جِنْس الإِنْسَان عَنْ الْخُسْرَان الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَات بِجَوَارِحِهِمْ " وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ " وَهُوَ أَدَاء الطَّاعَات وَتَرْك الْمُحَرَّمَات. (ابن كثير،2000، ج14: ص452) حيث حاجة النفس إلى التلطف بها في حمل أثقال التكليف والطاعات، وهموم ومشاكل الحياة، حتى تنشط للقيام بها، ويهون بذلك عليها الأعمال الشاقة على النفس، في هذه الأمور، بإسداء الموعظة الحسنة من وقت لآخر للتذكير.

والنصح للناس هو خلق الأنبياء عامة، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ إذ كان مما مدحه الله ﷻ النصح لأمته والحرص عليهم في قوله (تعالى): ﴿ **يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ**﴾ [الأعراف:**157**] **وقوله (تعالى):** ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾. [التوبة:**128**]

فهذه صفة الصاحب المخلص النصح لصاحبه، بل هي صفة المؤمنين عامة بعضهم مع بعض: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾. [التوبة:**71**]

وأما المنافق فإنه لا ينصح صاحبه، وإذا نصح أمره بالمنكر لقول الله ﷻ: ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة:**67**]وفي السياق نفسه قوله ﷺ: "**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.**" (النسائي، 2001، ج8: ص82)

"والمؤمن صادق في نصحه لأخيه المؤمن، يبين له أشياء تخفى عليه، يفرق له بين الحسنات والسيئات، يعرفه ما له وما عليه".(الجيلاني: 1983،ص 28)

إذن فالنصيحة –هنا– واجبة على كل مسلم لأخيه المسلم، فتكون للصاحب، الذي تعاشره وتخالطه، أولى وأشد، بل وألزم؛ نظراً لمعرفته دقائق وتفاصيل حياة صاحبه، واطلاعه على معظم أسراره وخفايا نفسه، فحينها تصيب هذه النصيحة الهدف المرجو.

فهناك بعض الآداب للنصح، ومنها ما يلي:

1- الإخلاص في إسداء النصيحة:

وليس المقصود –هنا– التناصح وحسب، بل الإخلاص في إسداء النصيحة، وذلك بأن تدعوه إلى كل بر وخير وتعينه عليه، وتنهاه عن كل إثم وشر، وتدفعه عنه. حيث قال الله ﷻ: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ** ﴾.[المائدة:**2**]

فلا ينبغي –فقط– إظهار رجاحة عقل الناصح أو فضح وتشهير المنصوح، وإنما غرضه الإصلاح وابتغاء مرضاة الله (تعالى). ومثاله ما روي عن النبي ﷺ عند سؤاله:" **يا رسول الله، أي الأصحاب خير؟ قال: الذي إذا ذكرت أعانك وواساك، وخير منه من إذا نسيت ذكرك**". (الآمي، 2004، ج1: ص171)

فهذا هو المتوقع من الصاحب المخلص، المعونة، والتذكير الدائم بالله (تعالى)، والتقرب معاً إلى الطاعات وحسن العبادات.

2- الحكمة ولين الجانب:

حيث إن الكلمة الطيبة مفتاح القلوب، مصداقاً لقوله (تعالى): ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾. [النحل:**125**]

فيجب أن ينتقي تلك الكلمات، والأسلوب الجيد، حتى تصيب في مكانها المراد، وتحقق الغاية، لا مجرد استعراض، أو إلقاء الموعظة بأي أسلوب كان.

فكان الرسول ﷺ أرق وألين ما يكون عند النصيحة والإرشاد، فيختار الأسلوب المناسب، الذي يتوافق مع كل شخصية، والوقت المناسب أيضاً، ولا يجرح أحداً، حتى ولو كان كافراً، أو مذنباً كما وصفه الله جل وعلا: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾. [آل عمران:**159**]

الرحمة ولين الجانب مطلوب في أغلب المواقف، فلا أولى من الحبيب والصاحب، وقت الشدة، هذا الوقت يكون فيه الإنسان ضعيفاً متخبطاً، يحتاج إلى من يسانده ويعظه، ويترفق ويحنو عليه كي تزداد النصيحة جمالاً كما قال معلمنا ﷺ: " **إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ.**" (مسلم، ب:ت، ج8: ص22)

فالرفق مطلوب في أغلب مواقف حياتنا، لا سيما مع أولادنا، ومن نربيهم ونكون مسؤولين عنهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كالمعلم في صفه، والأم مع أولادها، والأب مع أولاده، ورفاق أولاده أيضاً، حتى الناس أجمعين، حيث إن أساس الدين حسن المعاملة.

3- أن تكون النصيحة في السر:

يجب ألا تكون النصيحة أمام (الملأ) العلن؛ لأنها تكون وقتها فضيحة وليست نصيحة.

كقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

تعمدني بنصحك في انفرادي	**وجنبني النصيحة في الجماعة**
فإن النصح بين الناس نوع	**من التوبيخ لا أرضى استماعه**
وإن خالفتني وعصيتَ قولي	**فلا تجزعْ إذا لم تُعْطَ طاعـــهْ**

(القرني، 2002: ص80)

وكان ﷺ إذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، ما بال أحدكم يفعل كذا!! (أبو الفضل، 1995، ج2 : ص820)

وهذا الأسلوب لا شك أنه من أرقى أساليب التعلم، ما يسمى بالتعليم غير المباشر.

وقيل: النصح ثقيل فلا تجعلوه جبلاً، ولا ترسلوه جدلاً، والحقائق مرة، فاستعينوا عليها بخفة البيان.

4-عدم كتمان النصيحة:

تعد أحد الحقوق التي يجب أن يؤديها المسلم لإخوانه المسلمين، فالمسلم مرآة أخيه، لقوله ﷺ: "**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**". (مسلم، ب:ت، ج7: ص3)

فتكون ولو بكلمة، فكم من أناس كانت كلمة سبباً مباشراً في هدايتهم-بعد مشيئة الله تعالى- من الضلال واعتدالهم إلى طريق الصلاح والهدى، بمشيئة الله (تعالى).

ب- إخلاص المشورة للصاحب:

وذلك بأن تشير عليه بما يصلحه من المشورة المخلصة، التي هي مظنة الخير، لا التي توافق الهوى، وقد قال الله ﷻ لنبيه ﷺ :﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾. [آل عمران:159]

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ:" **أَمَا إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَّانِ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ جَعَلَهَا اللهُ رَحْمَةً لِأُمَّتِي، فَمَنْ شَاوَرَ مِنْهُمْ لَمْ يُعْدَمْ رُشْدًا، وَمَنْ تَرَكَ الْمَشُورَةَ مِنْهُمْ لَمْ يُعْدَمْ عَنَاءً**." (البيهقي،**2003، ج**10: ص41) حيث إن المؤمن يعاشر أخاه بالمعروف ويدله على ما فيه صلاح وخير له.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ**" (ابن ماجة،1998، ج5: ص306)، وقَالَ ﷺ :" **الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**". (الدارمي، 2000، ج3: ص 1591)

كما أن المشورة واجبة بين الأصحاب والإخوان، فهي -أيضاً- أمانة على الصاحب المؤتمن، عليه أن يؤديها على وجهها الأكمل فيما يرضي الله (تعالى)، دون أن يخدع صاحبه، أو يدلس عليه، ويوقعه فيما يعصي الله (تعالى). مما يزيد أواصر المحبة والتواصل فيما بينهم، ويوطد جسور الثقة مع الوقت.

رابع عشر: اجتناب غيبة الصاحب:

والغيبة: من الغيبوبة . والغيبة: من الاغتياب. واغتاب الرجل صاحبه اغتياباً إذا وقع فيه، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بسوء، أو بما يغمه لو سمعه وإن كان فيه، فإن كان صدقاً فهو غيبة وإن كان كذباً فهو البهت والبهتان، كذلك جاء عن النبي ﷺ، ولا يكون ذلك إلا من ورائه، والاسم: الغيبة. (ابن منظور، ب:ت، ج1: ص656)

ولقد نهى الله (تعالى) عنه في محكم التنزيل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾. [الحجرات:12]

أي لا يتناول رجلاً بظهر الغيب بما يسوؤه مما هو فيه، وإذا تناوله بما ليس فيه، فهو بهت وبهتان.

فإن الغيبة بدورها قادرة على أن تهتك أواصر المودة والمحبة، بين الأصحاب، وزرع الحقد والتحاسد، بل تؤجج مشاعر الضغائن في القلوب، مما قد يثير سوء الظن بالآخرين؛ لذلك حرمه الإسلام على المسلمين؛ إذ قال ﷺ: " **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ** "(مسلم، ب:ت، ج8: ص10) وقال أيضاً ﷺ: " **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** ". (مسلم، ب:ت، ج8: ص10) فإنه يدعوهم للتحسس والتجسس بعضهم على بعض.

فكما يجب السكوت باللسان عن المساوئ، بحكم أنه مطلع على أغلب عوراته وعيوبه، فيجب السكوت بالقلب وهو أن يحسن الظن بصاحبه فهي درجة حقاً يرتقي بها الإنسان ويعلو بأخلاقه عمن سواه، فيرتقي بدرجة تلك الصحبة والأخوة .

فإذا كنت تحب أن ترى صفاته الطيبة، وتستر معايبه، ولا تعرف عنه السوء، فعليك أن تظهر فضل أخيك وتتحدث عن مناقبه، وتُخفي عيبه وتكتمه، كما جاء في الحديث الشريف:" **مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ.**" (ابن ماجة، 1998، ج4: ص151)، ولا خير فيمن تتبع عورات المسلمين.

وصدق القائل:

إن شر الناس من يكشر لي   حين ألقاه وإن غبت شتم

المكاشرة:المضاحكة، كاشره: ضاحكه وتبسم له. (الثعالبي، 1997: ص124)

صحيح إنه يجب على الصاحب التقي أن يبتعد عن غيبة صاحبه، ولكن هـذا لا يكفـي وحسب، بل ينبغي عليه أن يرد الغيبة عنه إذا ما سمعها من الآخرين بحضرته، حيث **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِنْ رَأَى بِـهِ أَذًى فَلْيُمِطْـهُ عَنْـهُ."** (الترمـذي، 1998، ج3: ص487) وقال ﷺ: "**استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيراً سـتره وإن رأى شـراً أظهره**". (أبو الفضل، 1995، ج1: ص474)

خامس عشر: العفو عن زلات الصاحب، وتقبل أعذاره:

كم هو جميل أن يتصف الإنسان بالمرونة والسماحة، ونجد مثل هؤلاء يتميزون بكثـرة الأصحاب والأحباب، ويتصفوا بكونهم اجتماعيين، حيث خصهم الله (تعالى) في محكم التنزيـل بقوله: ﴿ **وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران:**134**]، وقـال أيضاً: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصّلت:**34**]، وفي تفسير الجلالين لهذه الآية: " لا تستوي الحـسنة ولا الـسيئة فـي جزيئاتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض، وادفع بالصفة الحسنة، كالغضب بالصبر، والجهل بـالحلم، والإساءة بالعفو،أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبتـه إذا فعلـت ذلـك." (المحلـي والسيوطي، ب:ت، ج1، ص634)

فيجب على الصاحب مراعاة ما يلي:

أ- **التقليل من المعاتبة كلما أمكن ذلك**، حتى لو كان مخطئاً، فيمكن التلميح لذلك بطريقـة غيـر مباشرة، كي لا يجرح مشاعره، ولا يشعره بالذنب، كما قال أنس ﷺ : "**كَانَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ لا يُوَاجِهُ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ.**" (النسائي، 2001، ج9: ص 98)

ب-**اجتناب مقاطعته لارتكابه ذنب ما**، والأصل أن لا يصاحب إنسان إلا بعد أن يعرفـه جيـداً، فإذا قبل دينه وخلقه فلا يقطع صداقته، ولا يرد إلا إذا ضعف دينه، وفسد خلقه، حتى إذا رأيـت عليه ذنباً ينبغي ألا تتركه إلا إذا استفرغت معه وسائل الإصلاح والنصح بإحسان ورفـق، فقـد تكون سقطة مؤقتة ما يلبث أن يرجع بعدها إلى رشده، فقال إبراهيم النخعي:" لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإن يرتكبه اليوم يتركه غداً."

فقال أبو الدرداء ﷺ :" إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخـاك يعوج مرة ويستقيم أخرى."

ج- الصفح عن الزلات و تقبل عذره إذا أتاك به، كما جاء في محكم التنزيل:﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النور:**22**]، وقال أيضاً: ﴿ **وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [البقرة:**237**]، وقال أعرابي لصديقه معتذراً: " مثلي هفا، ومثلك عفا، فأجابه صديقه: مثلك اعتذر، ومثلي اغتفر". (التوحيدي،1996: ص36)

وحكي أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال: " إني قد اعتللت فإن شئت أن لا تعقد على صحبتي لله فافعل، فقال: ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبداً، ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يتحلل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالاً وضراً." (التوحيدي،1996: ص58)

فهنا يجب على الصاحب تصديق اللسان؛ لأن الإنسان لا يعلم ما في القلوب والشاهد في ذلك: قصة أسامة بن زيدﷺ حين قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله عندما رفع السيف عليه. فعن أسامة بن زيد ﷺ قال: " أدركت مرداس بن نهيك أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السيف قال اشهد أن لا اله إلا الله فلم نزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبرناه بخبره فقال يا أسامة من لك بلا إله إلا الله فقلت يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل قال: من لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟ فو الذي بعثه بالحق ما زال يرددها علي حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن لي وأنى أسلمت يومئذ و لم أقتله فقلت: أنى أعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، فقال رسول الله ﷺ: بعدى يا أسامة، قلت: بعدك." (الهندي، 1985، ج1: ص310)

قال أعرابي لصاحب له: قد درن(أي تلطخ) ذات بيننا، فهلم إلى العتاب لنغسل به هذا الدرن، فقال له صاحبه: إن كان كما تصف فذاك لبادرة ساءتك مني، إما لك وإما لي، فهلا أخذت بقول القائل:

إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذراً

والله لا صفت مودتنا، ولا عذب شربها لنا إلا بعد أن يغفر كل واحد منا لصاحبه ما يغفره من غير منّ ولا أذى. (التوحيدي، 1996: ص58)

وعن الأصمعي قال: قال أعرابي: " تناس مساوئ الإخوان يدم لك ودهم" (السلمي، آداب الصحبة)، فمن منا لا يخطئ ولو بالقليل، فتناس للناس، كي يتناسوا لك مساوئك.

سادس عشر: الصبر على جفاء الصاحب:

الصبر حبس النفس عن الجزع، صبراً تجلد ولم يجزع وانتظر في هدوء واطمئنان، ويقال: صبر على الأمر احتمله ولم يجزع، وعنه حبس نفسه عنه ونفسه حبسها وضبطها (الرازي، 1995، ج1: ص149) وكما جاء في محكم التنزيل: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف:**28**]،وفي أسماء الله (تعالى): الصبور تعالى وتقدس، هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم. (ابن منظور، ب:ت،ج4: ص437)

فما تم ذكره سابقاً عن ضرورة عدم هجر الصاحب، والعفو عن زلاته، فأيضاً مطالب هو بالصبر على جفائه إذا بدا منه هجْر لأي أمر من أمور الدنيا، الانشغال بأمور الدنيا أو السفر، أو غلبة الهموم، وغيرها من الأسباب التي قد تقطع أحبال المودة من أجلها، فلا بد أن يكون الصاحب حليماً، فلا يسارع في قطع تلك العلاقة، حيث يكون المُبادئ دائماً باسترجاع المودة والوصال، حيث يجب ألا تزيد في الهجرة على ثلاثة أيام لمن تعرفه، كما جاء في الحديث المشهور: "**لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاثة أيام، فإذا مرت به ثلاثة أيام فلقيه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام، فقد اشتركا في الأجر، وأن لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة**" (البخاري، 1986، ج1: ص257)، ومثلما قال الشاعر: وفي القلب صبرٌ للحبيب ولو جفا. وقالَ ﷺ :" **تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلّا رَجُلا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**". (مسلم، ب:ت، ج8: ص11)، وقال إبراهيم النخعي: " لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإن يرتكبه اليوم يتركه غداً". وكما قال الشاعر:

فلا تقطع أخاك من أجل ذنب فإن الذنب يغفره الكريم

(التوحيدي،1996: ص57)

وقال الفضل بن يحيى: "الصبر على أخ تعتب عليه، خير من آخر تستأنف مودته". (التوحيدي،1996: ص40)

وأخيراً، ربما يكون القليل من المفاتحة والمعاتبة، سبباً في توضيح بعض الأمور الغائبة، أو الملتبس فيها بالخطأ، فقليل من سوء الظن أحياناً يهدم علاقات حميمة، وتعدت تلك الظاهرة؛ لأنها وصلت إلى داخل البيوت، فأصبحت بين الأزواج، بحيث تنتهي بالطلاق وتفكك وضياع

أسرة بأكملها بسبب سوء الظن، وافتقار الأزواج إلى لغة الحوار والتفاهم، فأصبح هناك جفــاف في المعاملة مما يؤدي إلى تقطع أواصر المحبة والمودة.

سابع عشر: تبادل الهدايا بين الأصحاب:

تبادل الهدايا والأعطيات؛ في المواسم والمناسبات، والابتداء في ذلك على قدر الإمكـــان. فإن الهدية تزيد في المحبة، وتزيل ما في الصدر من عداوة وبغضاء.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "**تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ وَلا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ**". (الترمذي، 1998، ج4: ص9)

ومن المحبب أن تكون الهدايا على القدر المناسب، وبقدر ما يستطيع الفرد، فلا يتكلــف كثيراً حتى لا تصبح عبئاً عليه، وحتى لا تكون مبالغاً فيها.

الفصل الخامس

الآثار التربوية للصحبة الصالحة

مقدمة.

أولاً: آثار تعود على الصاحب:

أ- الاستقامة والصلاح.

ب- الفوز بالسمعة الطيبة.

ج- التفوق والنجاح.

د- تربية وتقويم الذات.

ه- الاتزان والتوافق النفسي.

ثانياً- آثار تعود على الأسرة والمجتمع المسلم بأكمله:

أ- إشاعة التماسك الاجتماعي بين المسلمين.

ب- إشاعة خلق الأمانة في المجتمع المسلم.

ج- إشاعة روح المحبة بين أفراد المجتمع المسلم.

د- تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي.

ه- صلة الرحم...والأقارب.

و- تعزيز مبدأ التناصر بين المسلمين.

مقدمة:

أصبح موضوع الصحبة ودراسة أثرها ذا أهمية كبرى في العصر الحالي، في حياة الإنسان المسلم، الذي يخاف على دينه. فبين هموم الحياة وكثرة المغريات فيها، يبحث كل منا عن صديق يتقاسم معه همومه وأحزانه ويساعده على أمر دينه ودنياه، ينبهه إذا أخطأ وينصحه إذا احتاج إلى النصح، يتقاسم معه فرحه وهمه. وعلى الفرد أن يختار الصحبة بعناية لكي تكون عوناً له لا عليه، تساعده على الخير لكي لا يأتي يوم القيامة تتحول فيه الصداقة إلى عداوة. إلا الصحبة الصادقة تظل كما هي مثل ما قال الله (تعالى): ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزُّخرف:67]، وجاء في تفسير هذه الآية لابن كثير: " أَيْ أن كُلّ صَدَاقَة وَصَحَبَة لِغَيْرِ اللَّه فَإِنَّهَا تَنْقَلِب يَوْم الْقِيَامَة عَدَاوَة إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ ﷻ فَإِنَّهُ دَائِم بِدَوَامِهِ" (ابن كثير، 2000، ج12: ص1062) فعن علي بن أبي طالب ﷺ في تلك الآية السابقة أنه قال: " خَلِيلانِ مُؤْمِنَانِ وَخَلِيلانِ كَافِرَانِ فَتُوُفِّيَ أَحَد الْمُؤْمِنَيْنِ وَبُشِّرَ بِالْجَنَّةِ فَذَكَرَ خَلِيله فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانًا خَلِيلِي كَانَ يَأْمُرنِي بِطَاعَتِك وَطَاعَة رَسُولك وَيَأْمُرنِي بِالْخَيْرِ وَيَنْهَانِي عَنْ الشَّرّ وَيُنَبِّئنِي أَنِّي مُلَاقِيك اللَّهُمَّ فَلَا تُضِلّهُ بَعْدِي حَتَّى تُرِيه مِثْل مَا أَرَيْتنِي وَتَرْضَى عَنْهُ كَمَا رَضِيت عَنِّي فَيُقَال لَهُ اِذْهَبْ فَلَوْ تَعْلَم مَا لَهُ عِنْدِي لَضَحِكْت كَثِيرًا وَبَكَيْت قَلِيلاً قَالَ ثُمَّ يَمُوت الْآخَر فَتَجْتَمِع أَرْوَاحهمَا فَيُقَال لِيُثْنِ أَحَدكُمَا عَلَى صَاحِبه فَيَقُول كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ نِعْمَ الْأَخ وَنِعْمَ الصَّاحِب وَنِعْمَ الْخَلِيل وَإِذَا مَاتَ أَحَد الْكَافِرَيْنِ وَبُشِّرَ بِالنَّارِ ذَكَرَ خَلِيله فَيَقُول اللَّهُمَّ إِنَّ خَلِيلِي فُلانًا كَانَ يَأْمُرنِي بِمَعْصِيَتِك وَمَعْصِيَة رَسُولك وَيَأْمُرنِي بِالشَّرِّ وَيَنْهَانِي عَنْ الْخَيْر وَيُخْبِرنِي أَنِّي غَيْر مُلَاقِيك اللَّهُمَّ فَلَا تَهْدِهِ بَعْدِي حَتَّى تُرِيَه مِثْل مَا أَرَيْتنِي وَتَسْخَط عَلَيْهِ كَمَا سَخِطْت عَلَيَّ قَالَ فَيَمُوت الْكَافِر الآخَر فَيُجْمَع بَيْن أَرْوَاحهمَا فَيُقَال لِيُثْنِ كُلّ وَاحِد مِنْكُمَا عَلَى صَاحِبه فَيَقُول كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِئْسَ الْأَخ وَبِئْسَ الصَّاحِب وَبِئْسَ الْخَلِيل." (البيهقي، 2003، ج12: ص47)

وتبين مما سبق هذه الآثار الواضحة والمتعددة، إنما هي نتيجة لأمورٍ عديدة، حدثت في الدنيا، بين هؤلاء الأصحاب الذين تجمعوا إما على طاعة الله فجنوا بلا شك ثماراً في الدنيا والآخرة، أو تجمعوا –والعياذ بالله– على معصية الخالق، فيكون وقتها الندم والحسرة يوم لا ينفع الندم. فلقد أوضحت في هذا الفصل تلك الآثار التي يجنيها الأصحاب من تلك الرفقة، وهي ليست على مستوى الأصحاب فقط، إنما على مستوى المجتمع المسلم بأكمله.

أولاً: آثار تعود على الصاحب، حيث قامت الباحثة بتصنيفها كالآتي:

أ- الاستقامة والصلاح:

لا شك أن الصاحب يكون في معظم الأحيان معلماً لصاحبه، نظراً لوجود المحبة والتفاهم فيما بينهما، فإنها تكون أحد الأسباب لانتظام أمور الناس، وتورث التعاون، والسلاسة في التعامل، حيث قيل: " طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة؛ لأن طاعة المحبة من الداخل وطاعة الرهبة من الخارج، تزول بزوال سببها، وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا وإذا تعاونوا عملوا وإذا عملوا عمروا." (الأصفهاني: 1980، ص254)

لذلك، من السهل أن يعلم الصاحب صاحبه ويتشرب منه سلوكياته بكلِ حبٍ وسلاسة، فتكون هناك آثار تربوية واضحة، كالآتي:-

1- إنما الصحبة ما هي إلا وسيلة لتواصل الأصحاب وتعاونهم على البر والتقوى والأعمال الصالحة؛ حيث قال الله (تعالى): ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾. [المائدة:2]

2- ووجود الصحبة إنما هو دليل وعلامة من علامات الإيمان وحصوله؛ حيث قال رسول الله ﷺ: " **إن المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**". (الحاكم، ب.ت، ج1: ص23)

3- وإنها سبب من أسباب العصمة والابتعاد عن المعاصي، هذا إن أحسن الإنسان اختيار صاحبه، وكان على أساس من الدين والخلق، فإنه يستحيي أن يجاهر بالمعصية أمامه، فضلاً عن أن يفاخر بها، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): " ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه".(السلمي، 1990، ص55)

4- أن الأخوة والصحبة في الله عمل صالح، وقد ورد عنه ﷺ:" **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، منها وان يحب المرء لا يحبه إلا الله**."(ابن حبان، 1993، ج1: ص474) وورد عن لقمان أنه قال لابنه:" يا بني، لا تعد بعد تقوى الله من أن تتخذ صاحباً صالحاً"، وسئل بعض الحكماء: " أي الكنوز خير؟ قال: أما بعد تقوى الله فالأخ الصالح." (ابن محمد، 1988: ص73)

وقال ﷺ: " **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**." (مسلم، ب.ت، ج8: ص37)

وقال ﷺ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْعَبْدَ لا يُحِبُّهُ إِلّا لِلَّهِ ﷻ". (ابن حنبل، 2001، ج16: ص431)

وقيل:" إن صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً". (ابن حبان،1977: ص100)

مما سبق، يتبين أنه منذ البداية كان لا بد من التمحيص في اختيار الصاحب، ولقد وضعنا معايير لذلك، فكم هي الآثار التي قد تترتب على هذا الاختيار، سواء كان اختياراً موفقاً، فيعود عليك بآثاره الطيبة والفوائد الكثيرة، وبالمقابل النتن لا يحمل إلا نتناً، ويظل اختيارك السيئ وصمة عار عليك طوال حياتك، فالإنسان سمعته الطيبة هي التي تدوم وتورث لأولاده وعائلته بعد مماته، ويقول الناس: فلان كان يماشي فلاناً فمن المؤكد أنه يشابهه .

ب- تعزيز احترام الذات:

إن صحبة الأخيار تعدّ تحسيناً للسمعة، فيعرف الإنسان بالصلاح ما دام رفقاؤه صالحين، وفي الحديث: " **الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**". (ابن حنبل، ب.ت: ص303)

فالصاحب يؤثر في خلق صاحبه بطريق مباشر أو غير مباشر، فيصبح نسخة عنه في أسلوبه وحديثه وتصرفاته. فتراهما يذهبان إلى المسجد سوياً، يحفظان القرآن ويتعلمانه، يتزاوران فيما بينهما، و يتناصحان، ويشدّان أزر بعضهما بعضاً.

أما الأشرار فصحبتهم تجعل الإنسان في نظر الناس متهماً –لو كان مبرءاً- كما كان رفقاؤه فساقاً عصاة، حتى لو لم يرتكب المعاصي، فيكفي أن قلبه اطّلع على الآثام فيتعود عليها، فمن ثم يريد تجربتها، فتصبح عنده شيئاً عادياً يراه بشكلٍ دائم، فيكون من السهل جداً عليه –فيما بعد- أن يقلد أصحابه، ويفعل مثلهم؛ حيث إن الصاحب ساحب، وقد قيل:

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

والحق، أن كثيراً من الجرائم والمفاسد والانحرافات (من ارتكاب للكبائر والموبقات، ومن تناول للمخدرات، وغيرها) ليست إلا أثراً من آثار الصحبة الفاسدة.

ج-التفوق والنجاح:

إن في صحبة الأخيار دفعاً لهمة الأصحاب، فلا نكاد نجد داعية ناجحاً، أو مخترعاً ماهراً، إلا وكان له قدوة صالحة أو رفقة وقرناء صالحون، وكانوا دافعين له إلى الخير والتقدم أو ملهمين له ومحمسين، وقد وصف الله ﷻ المؤمنين بقوله: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:3]وقوله أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71]، وقد حث عليه الشارع فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾. [المائدة:2]

أما الأشرار فهم عون على الشر، لا يتناهون عن منكر، ولا يأمرون بعضهم بالمعروف. كما قال الله عز وجل: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾. [التوبة:67]

وقال ﷺ : " **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**" (مسلم، ب.ت، ج8: ص37) والكير: هو زِقٌّ أو وعاء من جلد أو نحوه، يشبه الكيس، يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإذكائها. ويحذيك: يعطيك أو يمنحك.(الزمخشري، ب.ت، ج1: ص 443)

وفي هذا ترغيب في مجالسة الصالحين والقرب منهم، والاستفادة من علومهم وأعمالهم، وفي ضمن ذلك التحذير من مجالسة الأشرار والمفسدين، وأهل الغي والضلال .

د- تربية وتقويم الذات:

ذلك أن الصحبة الطيبة تهيئ للفرد جواً إسلامياً صحيحاً خالياً من الشوائب، ومعوقات التربية الذاتية، حيث إن الصاحب يتخذ من صاحبه قدوة صالحة فيكون مشابهاً له في تصرفاته، وأفعاله، متشرباً لسلوكه وأخلاقه، مثلما جاء في الحديث النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ: "**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**" (ابن حنبل، ب.ت: ص303)، وهذا الحديث النبوي الشريف يدل على أن هناك آثاراً تعود على الأصحاب مباشرة من خلال تلك المخالطة، والملازمة أغلب الأوقات، حتى يصبح الصاحب نسخة كربونية عن صاحبه.

كما أن صحبة الأخيار توفر متابعة لسلوكيات المسلم، وتسعى إلى تقويم شخصيته؛ فتقدم له النصح السديد، وتأخذ بيده إلى طريق الاستقامة والإيمان. (الرشيدي، 1999: ص28)

وحينما ينأى الإنسان بنفسه بعيداً عن مجالسةِ الصالحين، يكون في عرضة أكثر إلى استحواذ الشيطان، وقد عبر عن هذا المفهوم قوله ﷺ: "... **إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.**" (الحاكم، 1990، ج1: ص330) وما من شك أن مقاطعة أهل الدناءة أنفة منهم، ومواصلة أرباب الهمم العالية من العوامل المهمة في تزكية النفس.(أبو دف، 2002: ص168)

ويظهر هنا أن مصاحبة المؤمنين الضارعين إلى الله ﷻ توفر فرصة كبيرة لتقويم الذات؛ ذلك أن المؤمن يرى في أخيه اعوجاجاً أو عيباً فيهدي إليه النصيحة، وذلك كما جاء في الحديث النبوي الشريف: "**المؤمن مرآة أخيه**". (الترمذي، ب.ت، ج4: ص325)

وبالمقابل نرى أهل النفاق ورفاق المصلحة فقط، كما وصفهم الله (تعالى) في محكم التنزيل قائلاً: ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾. [التوبة:**67**]

حيث إن صحبة الأشرار سبيل إلى انتقال العادات السيئة والأخلاق الفاسدة، فمن الملاحظ أن عدوى السيئات أسرع سرياناً وأشد فتكاً من عدوى الحسنات، وفي الحديث: "**إن مثل الجليس السوء كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة**". (مسلم، ب.ت، ج8: ص37)

وإذا كان هذا مثل الجليس العابر، فكيف بصحبة العمر، وصداقة الزمان الطويلة، والخلطة الدائمة في السراءِ والضراء؟! حيث إن عدوى السيئات أصبحت أكثر انتشاراً من عدوى الحسنات، فنرى عدوى التدخين سرعان ما تسري بين الأصحاب، وتنتقل حمى الإدمان من المصاب إلى البريء أيضاً؛ لذلك نوه الرسول الكريم في الحديث السابق بضرورة تخير الجليس بأن يكون صالحاً. كما أشار(ابن تيمية، 2002: ص 332) بقوله: " لا خير في قومٍ ليسوا بناصحين، ولا خير في قومٍ لا يحبون الناصحين، وإذا كانت القلوب جبلت على حبِ الاقتداء بالصالحين والسير على منوالهم والرغبة في التأسي بأفعالِهم وأقوالِهم، فإن صحبة الصالحين تزود الفرد بمقياس يقيس به أفعاله ويصحح في ضوئه أنماط سلوكه اقتداء بهم، بحيث يتجنب آثار النقص، فيراها عيباً فضلاً عن اجتنابه لفعل القبيح". وكما قال -أيضاً- عبد الله بن مسعود: "ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب". (التوحيدي،1996: ص40)

كما يتبين مما سبق: أن للصحبةِ آثاراً حسنة، تعود على الفردِ في تقويمِ ذاتِه وتربيتها، وتصحيحها عند اعوجاجها، فما الصاحب إلا معلم لصاحبه، فبمجرد أن يقلد الصاحب صاحبه فيهتدي بهديه؛ حتى يكون له قدوة صالحة يقيس بها أفعاله، ويقيم بها سلوكه، مما ينتج عنه المثابرة، والمنافسة في فعل الخيرات.

هــ- الاتزان والتوافق النفسي:

كل منا يحتاج إلى المعاشرة، ويميل لحب الخلطة مع النـــاس، كحاجتـــه للهـــواء والمأكـــل والمشرب، فهي ضرورة من ضرورات الحياة على مر العصور. فمنذ بدء الخليقة عندما خلـــق الله ﷻ آدم عليه السلام ووجد نفسه وحيداً، شعر بالوحشة والوحدة، رغم أنه يسكن فـــي الجنـــة وذاق نعيمها الذي لا ينفد ولا يُمل. حتى خلق الله (تعالى) له زوجاً من نفسه تصاحبه وتلازمـــه حياته وتقاسمه همومه ومعيشته ليسكن إليها ويهدأ باله مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿**وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الرُّوم:21] فالضمير المستكِنُّ في (**لِتَسْكُنُوا**) يعود على النفس، إذ الاستقرار والهدوء والاتزان الذي يحصل نتيجة تلك الصحبة والمودة مع الزوجة.

وفي تفسير هذه الآية: " أي جعل بينكم التوادد والتراحم بسبب الـــزواج". (الإدريـــسي، 2002، ج5: ص 509)

فالمودة والرحمة، نابعة من حسن العشرة، فلو ساءت تلـــك العـــشرة ذهبـــت المـــودة، واستحالت المعاشرة فيما بينهما، فيكون عليهما الطلاق أمراً واقعاً، لإنهاء تلك المأساة؛ لأن أصل تلك العلاقة هي المودة، وغايتها حصول السكن والاستقرار والنفسي والعاطفي لكلا الزوجين.

ولقد حثنا الرسول ﷺ على ضرورة المخالطة، فقال:" **الْمُـــؤْمِنُ الَّـــذِي يُخَـــالِطُ النَّـــاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ** ". (بـــن حنبل، 1999، ج9: ص64)

هذا التوجيه النبوي الشريف مدعاة إلى ضرورة الاجتماع والخلطة والبعد عن العزلـــة والوحشة، وتحمل الأذى الذي يمكن أن يلقاه الفرد من مخالطته للناس، لكن ســـتكون الفوائـــد والآثار التي قد تعود على الفرد جراء تلك المخالطة أعظم أثراً على النفس الإنسانية، فالوحشة تولد أمراضاً نفسية خطيرة، مثل: الاكتئاب والتوحد... وغيره، التي يمكن أن تؤدي بالإنـــسان إلى الانتحار، مع قلة إيمانه والعياذ بالله.

كما أكدت بعض الدراسات النفسية وعلماء النفس على آثار الصحبة وتكوين العلاقـــات الحميمة مع المقربين، كما وضحها (غانم:2006) مفصلاً لمفهوم وأهمية الصداقة، كما يلي:

1- تجعل الإنسان يثق في صديقه الآخر .

2- تجعل الإنسان –أيضاً- يثق في ذاته، أي تجعل منه إنساناً واثقاً بنفسه .

3- كما تقوم على مجموعة من الأسس كلها تصب في بوتقة الصحة النفسية للفرد.

4- يجد من يشاركه آماله ويبوح له بأسراره.

5- الصداقة تمد الشخص بمعين من المساندة الاجتماعية والصلابة النفسية، وهما عنصران في مسألة عبور الشخص لأزمات الحياة المختلفة، كما يشعران الشخص بقيمته". (غانم، 2006، ص1)

هناك أسباب أخروية تشعر الإنسان بالأمن النفسي والروحي، عندما يقع اختياره على الصاحب الصالح، وتكون أيضاً سبباً في استقامته وصلاحه، وحفاظه على أواصر تلك الصحبة، ومن هذه الأسباب، أن الصحبة تعد:

- **سبب لمحبة الله للعبد:**

تعد الصحبة والمودة التي أصلها محبة الناس لبعضهم البعض، داعياً وسبباً لمحبة الله (تعالى) للعباد، وهذا كما بينه لنا الحديث القدسي المرفوع: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ :" **قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَافُّونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي.**" (ابن حنبل، 2001، ج32: ص183) فإن تلك المحبة محققة فعلياً، من الله ﷻ، على هؤلاء الصفوة من العباد، الذين تحابوا في الله في دنياهم، وتزاوروا فيما بينهم ابتغاء صلة الأرحام، ومرضاة لله ﷻ، فلقد أحبهم الله (تعالى)، بل أصبحت محبته حقاً لهم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" **خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ قَرْيَتِهِ يَزُورُ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا فَجَلَسَ عَلَى طَرِيقِهِ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي أَزُورُهُ فِي اللَّهِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ لَهُ هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لا وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ﷻ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ بِمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ.**" (ابن حنبل، 2001، ج16: ص 176) فالحب في الله عمل وطاعة تستوجب محبة الله (سبحانه وتعالى).

وقال رسول الله ﷺ: " **ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه.** "(الهندي، 1985، ج9: ص19)

مما سبق يتضح أن الحب في الله، يورث حباً من نوع آخر من خالق البشر، ومؤلف تلك القلوب، لهؤلاء الصفوة المتحابين في جلال الله، فهذا أعظم أثر ممكن أن يناله الأصحاب الصالحون .

- **سبب من أسباب الشفاعة:**

إن الصحبة الطيبة، كما أنها تجني ثماراً طيبة في الدنيا، فإنها ينتظرها نتيجة محتمة في الآخرة، فيوم تكون الشمس زمهريراً، وتكون الأبصار خاشعة، والوجوه شاحبة، والكل يترقب إما عذاباً أو نعيماً وراحة، ويستنجد الإنسان منا يومها بأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، وأي قريب يمكن أن يشفع له ويخفف عنه العذاب. ولقد وردت هنا آيات كثيرة دالة على أن الصاحب يتشفع لصاحبه، حيث قال -عز وجل-: ﴿ **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ** ﴾ [الحاقة:**35**] **وقال:** ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [غافر:**18**] **وقوله**﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ [المدَّثر:48] وقال: ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾. [الشعراء:101-100]

فالمقصود (بالحميم) في الآيات السابقة هو "الصديق اللطيف المودة " كما قاله الجمهور (الثعالبي، ب.ت، ج4: ص336)، ولقد خص الله ﷻ الظالمين بانتفاء الشفاعة عنهم، حيث قال صاحب أضواء البيان (الشنقيطي، 1995، ج8: ص367) قوله: ﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ [المدَّثر:**48**] فيه أن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين كما أن فيها إثبات الشفاعة للشافعين، ومفهوم كونها لا تنفع الكفار أنها تنفع غيرهم"، ولذلك أورد ابن كثير في تفسيره للآيات عن قتادة قوله: " يعلمون والله إن الصديق إذا كان صالحاً نفع وإن الحميم إذا كان صالحاً شفع." (ابن كثير، ج3، ص341)

وقال ﷺ: "**اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوانِ فإنَّ لِكُلِّ مُؤمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ القِيامَةِ ؛ فلعلك تدخل في شفاعة أخيك**" (الهندي، 1985، ج9: ص 4) وروي في غريب التفسير في قوله- ﷻ:﴿ **لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾[فاطر:**30**] : "يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم"، ويقال: "إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه؛ ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة، وكرهوا العزلة والانفراد"، قال علي رضي الله عنه :"عليكم بالإخوان؛ فإنهم عدة في الدنيا والآخرة" (الغزالي، ب.ت، ج2: ص 160) فيقول أهل النار: ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾. [الشعراء:**101 -100**]

قال الفخر، تفسيراً لهذه الآية : "وذلك لأن المعذب لا يخلصه من العذاب إلا صديق يشفع له أو ناصر يدفع عنه، ولا ولي لهم يشفع ولا نصير يدفع." (الرازي، 2000، ج25: ص200) كما في قوله (تعالى): ﴿ **لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾. [الأحزاب:**65**]

- **سبب لدخول الجنة:**

قد بين فيما سبق كيف استوجبت صحبة الأخيار محبة الله، وكيف ترقت بهم إلى درجات عالية مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كما جاء في الذكر الحكيم حيث قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء:**69**]، كما أن المرء يحشر مع من أحب.

حيث إن صحبة الأخيار هي التي ستدوم وتبقى، مصداقاً لقوله (تعالى): ﴿ **الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾. [الزُّخرف:**67**]

بينما تنقطع الصحبة بين الأشرار، ويفر بعضهم من بعض، ويتبرأ كل منهم من تبعات وساوسه المضلة، ويندمون على ما كان من صحبتهم للغواة الأشرار، متحسرين على ما فاتهم من صحبة الأخيار، حيث قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا** ﴾. [الفرقان:**27**]

وكما جاء في الحديث أيضاً: "...**فَمَنْ أَحَبَّ الْجَنَّةَ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مِنَ الْوَاحِدِ قَرِيبٌ، وَمِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ.**" (النسائي، 2001، ج8: ص 287)

- **سبب لجمع الشمل يوم القيامة:**

إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاماً في الجنة من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه، وإنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض؛ لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة، مصداقاً لقوله (تعالى): ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ [الطُّور:**21**] وقال ﷻ أيضاً: ﴿ **الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾. [الزُّخرف:**67**]

حيث إن الأصحاب المتقين سوف يلتقون مرة أخرى في الجنة، كما كان الحال في الدنيا، حتى لو كانوا متفرقين أو كل واحد منهما في بلد مختلفة، كما قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: " **لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ تَحَابَّا فِي اللَّه أَحَدهمَا بِالْمَشْرِق وَالآخَر بِالْمَغْرِب لَجَمَعَ اللَّه تَعَالَى بَيْنهمَا يَوْم الْقِيَامَة يَقُول هَذَا الَّذِي أَحْبَبْته فِيَّ** ". (البيهقي، 2003، ج6: ص 492)

وهذا أكبر دليل على ضرورة جمع الشمل بينهم، وفيه -أيضاً- أن الله (تعالى) يثني على هذا العمل يوم القيامة، بل ويظهره ويوضح سبب هذا الجمع أنه الحب في الله.

أوليس المرء يحشر مع من أحب؟! فالأخوة بالله تحقق للإنسان أعظم رفقة: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾. [النساء:69]

هو إذن جزاء من جنس العمل، رفقة صالحة كريمة في الدنيا جزاؤها رفقة عظيمة في الآخرة، وفي المقابل رفقة السوء في الدنيا تكون وبالاً على صاحبها: ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء:38]، ولن يفيد الندم أو يجدي نفعاً إذ يقولون حينها: ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان:28]، ولن ينفع اشتراكهم في العذاب ولن يفيدهم بشيء، مصداقاً لقوله (تعالى): ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزُّخرف:39]، وفي تفسير هذه الآية: " يعني لن ينفعكم إشراككم في العذاب؛ لأنّ لكلّ واحد نصيبه الأوفر منه، فلا يخفف عنكم العذاب لأجل قرنائكم ."

وقال مقاتل :" لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لأنّكم أنتم وقرناءكم مشتركون اليوم في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر." (الثعلبي، 2002، ج8: ص335)، إذ يجمع شملهم على العذاب، فهو –أيضاً– جزاء من جنس العمل.

وخلاصة هذا القول، أن للصحبة الصالحة آثاراً وأسباباً عميقة توقع في النفس البشرية الاستقرار، والتوازن النفسي والعاطفي، مما يزيل المخاوف من الوحشة والعزلة، فتجعله إنساناً متفائلاً واثقاً بنفسه، قادراً على تحمل ومواجهة الصعاب.

ثانياً: آثار تعود على الأسرة والمجتمع المسلم بأكمله:-

يسعى كل فرد في المجتمع إلى تكوين علاقات حميمة عديدة، بل يجب أن يحتك ويتعامل مع بعض الناس، حتى ولو للضرورة، من خلال ضرورات المعيشة والحياة، فنجد –على الأقل– علاقات داخل الأسرة نفسها تمتاز بنوع من التميز عن غيرها؛ إذ يسودها الدفء والمحبة، والتفاهم. وأيضاً العلاقات المدرسية، والجيران، والأقارب، فكل علاقة من هذه العلاقات لا بد أن تترك آثاراً واضحة، ليست على الفرد وحسب، بل على المجتمع بأكمله الذي يسمى المجتمع المحلي. كما أكد ذلك (الغزالي،1974: ص 189) في قوله: "حيث إن المجتمع المحلي يشمل الأسرة والمدرسة والأصدقاء والمساجد ودور الإعلام وهيئات وإدارات الدولة والهيئات الأمنية

والصحية والاجتماعية، وكلها مؤسسات لها دورها وكيانها ولها أولوياتها في التأثير على الأفراد".

وفيما يتضح أن المجتمع المسلم يمتاز بميزات لا يمكن أن تتوافر في أي مجتمع آخر، ذلك أنه يقيم أساس بنيانه على طاعة الله وطاعة رسوله والانقياد لأمر الله وتحكيم شرعه في الحياة، ثم بعد ذلك يتواصى أفراده فيما بينهم بالحق ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما قال الله ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾. [آل عمران: **110**]

وفيما يلي تعرض الباحثة أهم تلك الآثار، التي قد تعود على المجتمع المسلم المحلي، من أثر الصحبة الصالحة بين الناس، التي قامت بتصنيفها كالآتي:-

أ- إشاعة التماسك الاجتماعي بين المسلمين:

من آثار الصحبة الطيبة، وملازمة الأخيار أطول الأوقات والتطبع بطبائعهم وتشرب صفاتهم، ما يؤدي إلى إشاعة المحبة والإخلاص بين سائر أفراد المجتمع، بحيث يصبح عادة سلوكية تسود مجتمعاتنا، فنجد الصاحب حريصاً على مصلحة صاحبه، يدعوه إلى الخير، ويلازمه على العبادات، ويذكره بتقوى الله ﷻ، وربما يدفع عنه الضرر، وقد يصل إلى أعلى درجات الإخلاص حيث يفديه بماله وروحه أيضاً، ولدينا نماذج على ذلك، مثل:-

1- خيرة الصحابة، أبو بكر الصديق مع الرسول ﷺ عندما قال: "**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً...**"(مسلم، ب.ت، ج7: ص108)

فمنذ البداية هو أول من صدقه، وقد كان مخلصاً في دعوته لله، ودعائه وعبادته، وقد كان باذلاً لماله ونفسه في سبيل الله (تعالى)، وقد كان مخلصاً في تواضعه لله (تعالى) وفي صحبته الرسول ﷺ، حيث إخلاصه في هجرته؛ لقد فرح أبو بكر حينما اختاره الرسول ﷺ ليكون صاحباً له في هجرته، على ما في الهجرة من أخطار. ودخل الغار قبل رسول الله ﷺ دفعاً لضرر قد يلحق برسول الله ﷺ، من وحش كاسر أو ثعبان سام. ولما اقترب المشركون من فم الغار ومهمتهم أن يقتلوا رسول الله ومن معه. فبكى أبو بكر خشية على رسول الله ﷺ لا خوفاً على نفسه من الموت، فقال وهو يبكي: "**يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا**" **قَالَ**: "**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**". (البخاري، 2001، ج6: ص66)

هذا الإخلاص امتدحه الله (تعالى) في أبي بكر الصديق ﷺ فقال ﴿ **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.[التوبة:**40**]

فكم هي كلمات قليلة "لا تحزن إن الله معنا"، فذكره بالقوي الذي لا يغفل ولا ينام، كي يشد أزره، فكما يقولون الرجال تظهر عند المواقف الصعبة، إذ ينكشف الزيف فتظهر معادن الناس وقت الشدة، ومدى إخلاصهم.

2- إخلاص ووفاء رسولنا الكريم ﷺ لزوجته السيدة خديجة (رضي الله عنها) بعد وفاتها:

أليست هي صاحبة عمره؟! لازمته وقت الشدائد بمالها، وقفت بجانبه، وهي أول من آمن به من النساء، فكانت صحبتها له خير نموذج يُقتدى به لصحبةِ الأزواج، وتجلت معاني الوفاء والإخلاص في قدوتنا، الرسولِ الكريم ﷺ ،حتى بعد وفاتها؛ إذ كان يذكرها دائماً بكلِ خيرٍ أمام زوجاته، وكان يكرم صديقاتها ويبرهن بعد وفاتها إكراماً ووفاءً لها (رضي الله عنها وأرضاها)، حتى غارت عليه السيدة عائشة (رضي الله عنها) فقالت: " **مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ (كَأَنْ) لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**." (البخاري، 2001، ج5: ص39)

فمن الواضح أن صحبة السيدة خديجة، ظلت آثارها واضحة حتى بعد موتها، فكأن الرسول ﷺ يرسخ هنا مبدأ الإخلاص والوفاء، حتى يصبح عادة سلوكية تنتشر بين الناس في المجتمع الإسلامي.

وعن عمر ﷺ يقول: "عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء".(ابن عساكر، 1995، ج10:ص363)

فالصدق هنا هو الإخلاص في المحبة، والوفاء بالصاحب، فتكون تلك نتائجها محققة على الفرد ومن ثم المجتمع.

ب- إشاعة خلق الأمانة في المجتمع المسلم:

كان لا بد -من البداية- التمحيص في اختيار الصاحب الأمين الصالح، الذي يصون سرك، ومالك، ويخاف على عرضك، كما روي عن النبي ﷺ: " **إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِالْأَمَانَةِ فَلا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ** ". (الهندي،1985، ج9: ص144)

فانتشار مثل هذه العادة بين الأصحاب، ألا وهي كتم الأسرار وستر العيوب، يحافظ على دوام المحبة والمودة فيما بينهم، فيصبح مجتمعاً يثق بعضه ببعض.

وكما روي أيضاً عن عمر بن الخطاب ﷺ: "اعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشي الله". (البيهقي، ب.ت، ج10: ص112)

وهذا شيء طبيعي نظراً لملازمة الصاحب صاحبه طوال الوقت، فقد يكشف أمامه أسرار وخبايا كثيرة، وتظهر بعض العيوب- أمام صاحبه- ربما تكون رغماً عنه، أو هو يطلعه على أسراراً بقصد الاستشارة، أو التنفيس قليلاً بأن يشكو لصاحبه ليفرج عن همومه. فعندما يحسن كل منا اختيار هذا الصاحب الأمين، فمن المؤكد أنه ستعم الأمانة والصدق، وتنتشر الثقة فيما بينهم.

ج- إشاعة روح المحبة بين أفراد المجتمع المسلم:

لا شك أن المعاملة والأخلاق الحسنة، عندما تسود بين البشر، ينعمون وقتها بآثار طيبة كثيرة، أهمها: انتشار المحبة في الله، والتودد والتناصح، بحيث يخافون على بعضهم البعض، وترجع هذه إلى إيمانهم بالله ﷻ وأخلاقهم الحسنة، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾. [مريم:**96**]

أي يجعل الله محبته في قلوب عباده المؤمنين، وهذه لا ينالها مؤمن على ظهر الأرض إلا إذا أحبه الله ابتداءً. كما في الصحيحين من حديث أبى هريرة قال، قال رسول الله ﷺ :" **إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً، فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم يُنادى في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلاناً فأبغضه فقال: فيبغضه جبريل ثم يُنَادى في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثم توضع له البغضاء في الأرض**". (ابن حبان، 1993، ج2: ص85)

فمحبة الإنسان يرجع إلى أن الله (تعالى) يقذف حبه في قلوب البشر من حوله، فالتقرب يكون دائماً لهم، لما لهم من سابقة في حسن العشرة والتودد للناس وبالتالي لا تنتشر المودة والمحبة بين الناس، حتى تزول الأحقاد والحسد والبغض من قلوبهم، وهذا يحدث بدوام التودد والتواصل والألفة التي تدعو للتعاون والاجتماع في مواقف كثيرة، لذا حث الإسلام على الاجتماع في الصلوات الخمس والحج وغيره من العبادات القائمة على التجمع، حتى يصبح هناك تكافل وتعاون بين الناس، يأمرون بعضهم بالمعروف ويتناهون عن المنكر.

د- **تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي:**

يسعى الإنسان دائماً للبحث عن سبل الراحة النفسية، وتحقيق ذلك التوازن النفسي والاجتماعي، كما تميل النفس- أيضاً- إلى المعاشرة وحب الخلطة، وبالمقابل ابتعادها قدر الإمكان عن العزلة لما فيها من وحشة، وما قد ينتج عنها من أمراض نفسية واجتماعية مثل الاكتئاب والتوحد... وغيره، ويتضح هذا الأثر وأهميته عندما عاقب الله (تعالى) الثلاثة المخلفين الذين تخلفوا عن الجهاد تخوفاً، فما كان من الله ﷻ إلا عاقبهم عقاب نفسياً واجتماعياً، من فوق سبع سماوات؛ إذ أمر رسوله وأصحابه وأهل بيتهم بألا يخالطوهم ويعزلوهم اجتماعياً، حتى يتوبوا، فكان إحساس موحش، كما وصفه القرآن الكريم: ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾. [التوبة:**118**]

فهذه هي، فما عادوا يطيقون وحشة العزلة، وما أصابهم من اكتئاب نفسي، وهو ذلك الضيق في الصدر والنفس فتابوا بعد هذا العقاب فتاب الله عليهم. إن الله ﷻ، الذي جبل هذه النفس، يعلم ما يحكمها وما يفرحها وما يضيق بها؛ لذا أمرنا الله ﷻ بالتعارف والتقرب والتودد، حيث قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾. [الحجرات:**13**]

فعندما **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ".** (ابن ماجة، 1998، ج5: ص499)

حيث إن رسول الله ﷺ كان يجالس أصحابه باستمرار، ليرى همومهم ومشاكلهم، ويرد على تساؤلاتهم.

والحرص –هنا– على الخلطة لما لها من فائدة ترجع على الإنسان، ومن ثم المجتمع بأكمله، فعندما يكون الإنسان متوافقاً وراضياً مع نفسه، سيكون –أيضاً– مع أسرته في أحسن حال، ومن ثم جيرانه وأقاربه، يؤثر ويتأثر بمن حوله، ويتفاعل ببشاشة وتفاؤل ووجه طلق، فيصبح فرداً منتجاً في المجتمع متعاوناً، لا مريضاً مكتئباً يصبح عالة على المجتمع، وعبئاً على مؤسساته.

ه- صلة الرحم... الأقارب:

ذكرنا سابقاً أن حسن الصحبة والمعاشرة ليس فقط مع الأغراب، وخارج نطاق البيت والعائلة فقط، بل طالت الأخوة فيما بينهم، والزوج والزوجة، والآباء وأبناءهم، وضرورة جعل مثل هذه العلاقات يسودها الحنو والشفقة. وذكرنا –أيضاً– أن المودة والتواصل تزيد من أواصر تلك المحبة، ويحافظ على دوامها مدة أكبر؛ لذلك أوصى الله (تعالى) العباد بضرورة البر والتواصل، وكانت مبدوءة بالوالدين مصداقاً لقوله (تعالى): ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾. [النساء:36]، وقيل في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى** ﴾: وهو جارك في السكنى وأخوك في النسبة، فيستحق عليك زيادة الإحسان. ﴿ **وَالْجَارِ الْجُنُبِ** ﴾: من جاورك من العوام فتنصحه وترشده، ﴿ **وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ** ﴾: **من رافقك في أمر من** العوام، كَسَفَرٍ وغيره، وقيل هي الزوجة، ﴿ **وَابْنِ السَّبِيلِ** ﴾: من نزل بأهل الخصوصية من الأضياف، فلهم حق الضيافة عليهم حسًّا ومعنًى". (الإدريسي، 2002، ج2: ص65)

فنرى هنا كم هو حرص الإسلام على دوام تواصل هذه العلاقات، والخوف من اختلاجها، فعن **النبي ﷺ قال: " ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم، والجناية، والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابًا لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم ويكبر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون.**" (ابن ماجة، 1998، ج5: ص 617)

ولعل الحكمة من ذلك، أنه عندما يبدأ الفرد بوالديه، ثم زوجته وأبنائه وأهل بيته، فيخرج لجيرانه بحسن المعاملة، إلى أن تصل للعوام خارج البيت، فهذا كله يصب في أن يكون هناك تواصل وبر في المجتمع وتكون هي الصفة السائدة والغالبة عليه.

و- تعزيز مبدأ التناصر بين المسلمين:

من أبرز آثار الصحبة وتمام العلاقة بين الأصدقاء، أن يطلع كل صاحب على أسرار صاحبه، وأن يتصافيا، وأن يتواصلا، وأن يبذل كل منهما لصاحبه عند الحاجة بكل غالٍ قد يملكه، من وقته وماله، ونفسه، فقد يكون ذلك العطاء معنوياً بحيث يعطي الصديق من وقته لصاحبه، ويعد الوقت أغلى ما يملك الإنسان، فيسير معه ويرافقه ويعوده في مرضه، ويزوره في أفراحه وأتراحه ويواسيه ويؤازره همه وحزنه، ومن الأمثلة على ذلك:-

1- **أصل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بنيت على مبدأ التكافل وأن يبذل كل منهما للآخر**، فنجد سعد بن الربيع الأنصاري عندما عرض نصف ماله وإحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف. فعن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: " **قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ**". (البخاري، 1987،ج5: ص69)

2 - **تبادل الهدايا في الأفراح والمناسبات**، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " **تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ وَلا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ**." (الترمذي، 1998، ج4: ص9)، يعد تبادل الهدايا من أوضح سمات البذل والكرم.

3 - **الوقوف بجانب الصاحب وقت الضيق**، وبذل المال من أجله، والصبر عليه في سداد دينه، عملاً بقوله (تعالى): ﴿ **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:**280**]، بل إن كان مقتدراً فالتصدق هنا أجدر وأقرب إلى الإحسان.

4- **المؤازرة المعنوية**، قد يكون العطاء معنوياً، بحيث يعطي الصاحب من وقته ليهتم بصاحبه ويتفقد أحواله، ويكون دائم السؤال عنه، ويتواصل دائماً معه ليعرف أخباره ويطمئن عليه ويواسيه في محنه وشدائده، وهذا البذل المعنوي لا يقل أهمية عن غيره من العطاء المادي.

وفي بعض الأوقات قد يحتاج الإنسان منا إلى كلمة تفرج عنه همه وتطمئنه وتواسيه وقت الضيق، وخير مثال على ذلك موقف أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في الغار مع صاحبه محمد ﷺ عندما كان يطارده الكفار فلجأ هو وصاحبه إلى الغار ليختبئا فيهدهده بكلماتٍ رقيقة يواسيه فيها ويطمئنه، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ **إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. [التوبة:40]

فأنزل سكينته؛ أي أصبحت الطمأنينة محققة هنا وجاءت أثراً واضحاً؛ لأنه ذكره بالله (تعالى) فاطمأنت قلوبهم في ذلك الموقف الصعب.

5- بأن تعدى الكرم والعطاء من الشخص إلى صاحبه، كما كان يفعل الرسول ﷺ مع صواحب السيدة خديجة (رضي الله عنها) كما قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) في ذلك: "**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ**". (البخاري، 2001، ج5: ص39)

فكان يكرم صديقاتها حتى بعد وفاتها إخلاصاً ووفاءً لها وتقديساً لتلك العلاقة والصحبة. كما نرى أيضاً أنه من بر الوالدين بعد مماتهما بر أصدقائهما والتواصل معهم. فقال معاوية في ذلك السياق: " المودة بين السلف ميراث بين الخلف". (التوحيدي،1996: ص64)

فالمودة أثر من آثار الصحبة، وقد تورث لما بعد بين الأبناء -أيضاً- فينتشر بذلك الود والعطاء والتواصل بين أكثر أفراد المجتمع.

ملخص النتائج والتوصيات والمقترحات

أولاً: النتائج:

توصلت الباحثة، من خلال معالجة أسئلة الدراسة، إلى ما يلي:-

1- جاءت الصحبة بمعانٍ متباينة في القرآن الكريم، تبعاً لاختلاف المقصد والآيات التي أتت في سياقها، ولكن جميع هذه المعاني كانت تصب في بوتقةٍ واحدة، بمعنى التجمع والملازمة، مع دوام المعاشرة.

2- كشف القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، عن مرادفات مهمة للصاحب، كالصديقِ والخليلِ والقرينِ، مما أكد على معنى واحد، ضرورة دوام المرافقة، وصدق المودة، كي يكون صاحباً، بما تحمله اللفظة من معانٍ.

3- أوضحت الدراسة عدة أنماط للصحبة، وبينت أهميتها، وكيفية التعامل معها، وأهم الآثار العائدة على الطرفين من تلك الأنماط، والتي كان أهمها علاقة المربي بالمتربي، مثل صحبة الآباء بالأبناء، وصحبة المعلم بالمتعلم، وما قد يعود عليهما من آثار تربوية إيجابية.

4- أهمية الصحبة في بناءِ الشخصية وتوجيهها وجهة سليمة؛ حيث إن الفرد لا يستطيع أن يعيش وحيداً، فلا بد من المخالطة والمعاشرة، كي تنمو جوانب شخصيته الوجدانية والاجتماعية بشكلٍ سليم.

5- للصحبة الصالحة مقومات تستند إليها، التي تُعدّ معايير لاختيار الصاحب الصالح، كما أشار الكتاب والسنة النبوية الشريفة، التي تمثلت في: الإيمان والتقوى، والمنبت الحسن، والتوافق النفسي والروحي، وتقارب العمر، ووحدة الحال والمصير، والصدق في المودة، والأمانة.

6- لا بد أن يكون الصاحب لديه كامل المعرفة والدراية، بأهم الحقوق والواجبات الخاصة بالصحبة، كي يحافظ على أواصر المودة؛ لتدوم تلك المحبة، ويبقى أثرها ميراثاً للخلف من بعدهم.

7- اهتم الإسلام بالعلاقات الاجتماعية، وخاصة الصحبة؛ حيث أوضح ضرورتها، ومشروعيتها، بل والحث عليها، عبر العديد من النصوص المباشرة وغير المباشرة، التي أدرجت في الدراسة تحت البنود الخاصة بذلك.

8- أبرزت الدراسة آداباً وأسساً عديدة، تقوم عليها الصحبة الصالحة، للمحافظة على توطيد هذه العلاقة، ودوامها مدى الحياة، وهذه الأسس تمثلت في: ضرورة إخلاص الحب لله (تعالى)، ووجوب التزاور والتواصل، ومؤازرة الصاحب وقت الضيق، والاعتدال في المحبة، والإيثار، والتواضع، والعفو عن الزلات، وتقبل الأعذار، والوفاء والإخلاص والدعاء له بعد مماته... وغيرها من الركائز التي تم توضيحها في الدراسة وبيان أثرها.

9- للصحبة الصالحة آثار واضحة، فمنها ما يعود على الصاحب، مثل: المساعدة على الاستقامة والصلاح، وتعزيز احترام الذات، والتفوق والنجاح في أمور حياته، وتربية وتقويم الذات، والحصول على الاتزان والتوافق النفسي، ومنها ما يعود على المجتمع، مثل: إشاعة روح المحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وإشاعة التماسك الاجتماعي، وصلة الأرحام والتواصل، وتعزيز مبدأ التناصر بين المسلمين.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة، توصي الباحثة بما يلي:-

1- تربية النشء المسلم على التمسك بكتاب الله (تعالى) واتباع سنة نبيه محمد ﷺ، والسير على نهجه.

2- مبادرة أهل العلم والعلماء -دائماً- بتأصيل المفاهيم التربوية، والتعمق في دلالاتها، من خلال الفكر التربوي الإسلامي، وربطه بكل ما هو جديد.

3- ضرورة توطيد العلاقة بين الآباء والأبناء، وإزالة تلك الحواجز التي تحول دونَ التواصل والحوار، داخل الأسرة.

4- توجيه الآباء أبناءهم إلى اختيار الصاحب الصالح، وتحفيزه على بناء تلك العلاقات، وتهيئة الجو المناسب لذلك، مع مراقبته، وإرشاده باستمرار.

5- مبادرة المربين، وخاصة المعلمين بمعايشة طلابهم، والتقرب منهم، والتعرف إلى حاجاتهم ومشكلاتهم عن قرب، بحيث تكون علاقة صحبة تسودها المحبة والحنو والرفق بهم.

6- اهتمام المعلمين داخل البيئة الصفية، بتنمية العلاقات الاجتماعية بين الطلاب، وتعزيز الصحبة بينهم، وتثبيت بعض المفاهيم كحب إصلاح ذات البين، محاولين حل بعض مشكلاتهم أمام الطلاب كنموذج حي على ذلك.

7- توجيه الدارسين والباحثين إلى مزيد من القراءات التربوية، من خلال الكتاب والسنة النبوية الشريفة، لاستخراج الدلالات التربوية في جميع الجوانب للعلوم الإنسانية، لتأصيل المفاهيم، وطرح ما عندنا من القَيّمِ النَّفيس.

8- تطبيق بعض طرق التدريس، وإدارة الصف التي تعزز العلاقات الاجتماعية بين المعلم والطلاب، وبين الطلاب وبعضهم البعض، مثل:التعلم بالأقران، والتعليم التعاوني، وأسلوب المناقشة والحوار، والخروج إلى رحلات.

9- على جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية، بداية من الأسرة، فالمدرسة، فالمساجد، والإعلام التربوي الهادف، والاهتمام بتعزيز البناء الوجداني والأخلاقي، وتعليم طرق وأساليب التواصل الاجتماعي الفاعل لدى النشء المسلم.

10- توجيه المعلمين والمربين، في جميع مراحل التعليم إلى الاقتداء بنهج الرسول (عليه الصلاة والسلام) في التربية، والإرشاد والتوجيه، ومعايشته لأصحابه.

11- ضرورة العمل على توعية جميع أفراد المجتمع، عبر استثمار تقنيات العصر، والإعلام التربوي الهادف وتحفيزهم وتشجيعهم، إلى أهمية الصحبة الصالحة، وكيفية اختيار الصاحب الصالح، ويتم ذلك بتخصيص بعض البرامج الإذاعية، والتلفازية التي تعالج موضوع الصحبة الصالحة، من حيث الأهمية والآثار، والبحث في أهم المعيقات، محاولين إيجاد الحلول المناسبة لها.

12- تفعيل دور المؤسسات الاجتماعية ولجان الإصلاح والمساجد للعمل على توعية أفراد المجتمع بخصوص كيفية بناء علاقات جيدة وفعالة، من خلال الاطلاع على أهم المشكلات والمعيقات التي قد تحول دون نجاح بعض العلاقات بين أفراد المجتمع.

ثالثاً: المقترحات:

توصي الباحثة بإجراء الدراسات التالية:-

1- الدلالات التربوية للصحبة بين العالم والمتعلم في ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

2- دور المؤسسات التربوية في الاهتمام وبناء الشخصية الاجتماعية للنشء المسلم.

3- العوامل التي تعيق تكوين صحبة صالحة لدى طلاب الجامعات الفلسطينية.

4- أثر الصحبة والأقران على بعض المتغيرات(التحصيل الدراسي، التسرب، عقوق الوالدين، التزام الطالبات باللباس الشرعي، الزواج المبكر، التدخين...) لدى طلاب المرحلة الثانوية.

5- واقع العلاقة بين الآباء وأبنائهم داخل الأسر الفلسطينية من وجهة نظر الأبناء.

قائمة المراجع

**** القرآن الكريم، تنزيل من رب العالمين.**

أولاً: الكتب:

1- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (2006): **المصنف لابن أبي شيبة**، دار قرطبة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

2- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (1972): **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

3- ابن الحسين، زين الدين عبد الرحيم (1969): **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، السعودية.

4- ابن السعدي، عبد الرحمن (2000): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

5- ابن المبارك، عبد الله (ب:ت): **الزهد لابن المبارك**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

6- ابن الملقن، سراج الدين (2004): **البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير**، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

7- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (1985): **منهاج السنة النبوية**، مؤسسة قرطبة للنشر، بيروت، لبنان، ج8.

8- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (ب:ت): **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، دار ابن تيمية للنشر، ج12.

9- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد (2002): **تزكية النفس**، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر.

10- ابن حبان، محمد أبو حاتم (1977): **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

11- ابن حبان، محمد أبو حاتم (1993): **صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

12- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (1992): **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار الجيل للنشر، بيروت، لبنان.

13- ابن حنبل، أحمد (1999): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**،مؤسسة الرسالة للنشر، بيـــروت، لبنان.

14- ابن حنبل، أحمد (2001): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

15- ابن حنبل، أحمد (ب:ت): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.

16- ابن زكريا، أبي الحسين أحمد (1999): **معجم مقاييس اللغـــة**، دار الجيـــل، بيـــروت، لبنان، ج3.

17- ابن عساكر، علي بن الحسن (1995): **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها**، دار الفكـــر، بيروت، لبنان.

18- ابن كثير، عماد الدين (2000): **تفسير القرآن العظيم**، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر.

19- ابن ماجة، أحمد (1982): **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة**، دار العربية للنـــشر، بيروت، لبنان.

20- ابن ماجة، محمد بن يزيد (1998): **سنن ابن ماجة**، دار الجيل، بيروت، لبنان.

21- ابن محمد، عبد الله (1988): **الإخوان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

22- ابن مفلح، عبد الله محمد (1999): **الآداب الشرعية**، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.

23- ابن منظور، محمد بن مكرم (ب:ت): **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، مصر.

24- الأبهيشي، شهاب الدين محمد (1986): **المستطرف في كل فن مستظرف**، دار الكتـــب العلمية، بيروت، لبنان، ج1.

25- أبو الفرج، عبد الرحمن (1979): **صفوة الصفوة**، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان.

26- أبو الفضل، العراقي (1995): **المغني عن حمل الأسفار**، مكتبـــة طبريـــا، الريـــاض، السعودية.

27- أبو داود، سليمان بن الأشعث (ب:ت): **سنن أبي داود بحاشـــيته عـــون المعبـــود**، دار الكتاب العربي.

28- أبو دف، محمود خليل (2002): **مقدمة في التربية الإســـلامية**، الجامعـــة الإســـلامية، غزة، فلسطين.

29- أبو دف، محمود خليل (2006) : **دراسات في التربية النوعية**، دراسة عن ملامح التربية الزواجية في القرآن الكريم، مكتبة آفاق للنشر، غزة، فلسطين.

30- أبو طالب، محمد بن علي (2005): **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

31- أبو فارس، محمد عبد القادر(2000): **تزكية النفس**، دار الفرقان، عمان، الأردن.

32- أبي الحديد، عبد الحميد (ب:ت): **شرح نهج البلاغة**، دار إحياء الكتب العربية.

33- الآبي، أبو سعيد منصور(2004): **نثر الدرر**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

34- الإدريسي، أحمد بن محمد (2002): **البحر المديد**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

35- الأصفهاني، الحسين بن محمد (1980): **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

36- الألباني، محمد ناصر الدين (1992): **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، دار المعارف، الرياض، السعودية.

37- الآمي، منصور بن الحسن (2004): **نثر الدرر في المحاضرات**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

38- البخاري، إسماعيل بن إبراهيم (1986): **التاريخ الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

39- البخاري، محمد ابن إسماعيل (1987): **الجامع الصحيح المختصر**، دار ابن كثير، بيروت، لبنان.

40- البخاري، محمد بن إسماعيل (2001): **الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، دار طوق النجاة، السعودية.

41- البخاري، محمد بن إسماعيل (1987): **الجامع المسند الصحيح**، دار طوق النجاة، السعودية.

42- البغوي، الحسين بن مسعود (1997): **معالم التنزيل**، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية.

43- البوصيري، أحمد بن أبي بكر(1999): **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، دار الوطن، الرياض، السعودية.

44- البيهقي، إبراهيم بن محمد (1999) : **المحاسن والمساوئ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

45- البيهقي، أحمد بن الحسين (ب.ت): **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، مجلس دائرة المعارف، السعودية.

46- البيهقي، أحمد بن الحسين (2003): **شعب الإيمان**، مكتبة الرشد للتوزيع، الرياض، السعودية.

47- الترمذي، أبو يحيى بن سودة (ب.ت): **صحيح الترمذي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

48- الترمذي، محمد بن عيسى (1998): **الجامع الكبير**، دار الجيل، بيروت، لبنان.

49- التوحيدي، أبي حيان (1996): **الصداقة والصديق**، دار الفكر، دمشق، سوريا.

50- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (ب.ت): **الجواهر الحسان في تفسير**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

51- الثعالبي، عبد الملك بن محمد (1997): **لباب الآداب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

52- الثعلبي، أحمد بن محمد (2002): **الكشف والبيان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

53- الجبالي، حمزة (2005): **النمو النفسي والعاطفي والاجتماعي عند الأطفال**، دار صفاء للطباعة والنشر، الأردن.

54- الجوزي، عبد الرحمن (1983): **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

55- الجيلاني، عبد القادر(1983): **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

56- الحاكم، محمد بن عبد الله (ب.ت): **المستدرك على الصحيحين**، دار النشر للكتب العلمية، بيروت، لبنان.

57- الحميدي، محمد بن فتوح (2002): **الجامع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

58- حوي، سعيد (1983) :**المستخلص في تزكيـــة الأنفـــس**، دار الأرقـــم للنـــشر،عمان، الأردن.

59- خالد، عمرو (2002): **أخلاق المؤمن**، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان.

60- الخضري، محمد (1999): **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، دار الإيمـــان للنـــشر، المنصورة، مصر.

61- الدارمي، عثمان بن سعيد (2000): **سنن الدارمي**، دار المغني، الرياض، السعودية.

62- الذهبي، محمد بن أحمد (1983): **المعين في طبقات المحدثين**، دار الفرقان، عمـــان، الأردن.

63- الرازي، فخر الدين محمد (2000): **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

64- الرازي، محمد بن أبي بكر(1995): **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان ناشـــرون، بيـــروت، لبنان.

65- الرشيدي وصلاح، سعد محمد وسمير يونس(1999): **التربية الإسلامية وتدريس العلوم الشرعية**، مكتبة الفلاح، الكويت.

66- الزمخشري، محمود بن عمر(ب.ت): **الفائق في غريب الحديث والأثر**، لبنان.

67- السبيعي، عدنان (2000): **النمو الأخلاقي والاجتماعي ..الصداقة- محبة النـــاس**، دار الفارابي للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

68- السلمي، أبي عبد الرحمن (1990): **آداب الصحبة**، دار الـــصحابة للتـــراث، طنطـــا، مصر.

69- السمرقندي، نصر بن محمد (ب:ت) : **تفسير بحر العلوم**، دار الفكر للنـــشر، بيـــروت، لبنان.

70- السيوطي، عبد الرحمن (1993): **الدر المنثور للسيوطي**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

71- السيوطي، عبد الرحمن (1952): **تاريخ الخلفاء**، مطبعة دار السعادة للنشر، مصر.

72- السيوطي، عبد الرحمن، وآخرون (ب.ت): **تفسير الجلالـــين**، دار الحـــديث للنـــشر، القاهرة، مصر.

73- الشنقيطي، محمد الأمين، بن محمد المختار(1995): **أضواء البيان في إيضاح القـــرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

74- الطبري، محمد بن جرير(1984): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت، لبنان.

75- عاشور، محمد الطاهر (1997): **التحرير والتنوير**، دار ابن سحنون للنشر والتوزيع، تونس .

76- العفيفي، الشيخ طه عبد الله (2002): **صفات المؤمنين في الكتاب والسنة وأقوال الأئمة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

77- العمادي، أبي السعود (ب.ت): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

78- عيسى، أحمد عبد الرحمن (1997): **أصول التربية وتاريخها**، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

79- الغزالي، أبي حامد محمد (1972): **منهاج العابدين.**

80- الغزالي، محمد (ب:ت): **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة للنشر، بيروت، لبنان.

81- الغزالي، محمد (1974): **خلق المسلم**، دار الكتب الحديثة للنشر، القاهرة، مصر.

82- الفيروز آبادي، مجد الدين (ب.ت): **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1.

83- القرشي، أبو زيد (ب.ت): **جمهرة أشعار العرب**، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

84- القرطبي، علي بن خلف (2002): **شرح صحيح البخاري**، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

85- القرني، عائض بن عبد الله (2002): **في رحاب الأخوة**، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

86- قطب، سيد (ب.ت): **في ظلال القرآن الكريم**، دار الشروق، لبنان.

87- كفافي، علاء الدين (1998): **رعاية نمو الطفل**، دار قباء للنشر، القاهرة، مصر.

88- الكلبي، محمد بن أحمد (1983): **التسهيل في علوم التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

89- الماوردي، علي بن محمد (1978):**أدب الدنيا والدين**، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان.

90- الماوردي، علي بن محمد البصري (ب.ت): **أدب الدنيا والدين**، مطبعة مصر الشرقية، مصر.

91- المحلي والسيوطي، الجلالين (ب:ت): **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، مصر.

92- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج (ب.ت): **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

93- النجار، محمد الطيب (ب.ت): **القول المبين في سيرة سيد المرسلين**، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.

94- النسائي، أحمد بن شعيب (1991): **سنن النسائي الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

95- النسائي، أحمد بن شعيب (2001): **السنن الكبرى**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

96- النويري، شهاب الدين أحمد (2004) : **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

97- الهندي، علاء الدين علي (1985): **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

98- وزارة الأوقاف، والشئون الإسلامية- الكويت (1996): **الموسوعة الكويتية الفقهية**، مطابع دار الصفوة، مصر.

ثانياً: الرسائل العلمية:

99- زقوت، هشام محمود (1990): **الأخوة الإسلامية في القرآن والسنة النبوية**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

100- الشنطي، جميلة(1998) :**مضامين تربوية مستنبطة من خلال سورتي الإسراء والكهف**، رسالة ماجستير، كلية أصول التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

101- قاسم، رياض محمود (1990) : **الإحسان في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

102- نصر الله، غالب حسن (1998): **مضامين تربوية مستنبطة من كتاب الأدب في صحيح البخاري، رسالة ماجستير**، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

ثالثاً: الدوريات:

103- أبو دف، محمود(2002): " الممارسات المتعلقة بتزكية النفس لدى طلبة الجامعة الإسلامية"، **مجلة البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية**، غزة، العدد(119)، ص 150- 186.

104- أبو دف، محمود(2002): " أنموذج أبو دف لتقويم الذات"، **مجلة البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية**-غزة، العدد(119)، ص 150- 186.

105- أبو دف، محمود والوصيفي، ختام (2007): الجودة في التعليم الفلسطيني "**مدخل للتميز**" **المؤتمر التربوي الثالث المنعقد في الجامعة الإسلامية** في الفترة 30-31/ أكتوبر 2007: ص15.

106- أبو سريع، أسامة (1991): "أبعاد الصداقة الأساسية دراسة ارتقائية على عينة من تلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية"، **مجلة كلية الآداب**، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، مركز النشر للجامعة، العدد 52.

107- روسان، زاهد (2000): "فكرة الصداقة بين أرسطو وأبي حيان التوحيدي"، **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، بحث محكم، العدد الثالث والعشرون.

108- سليمان، عبد الرحمن، وكرم، سميحة (1997): "توجه المراهقين نحو والديهم أو أقرانهم وعلاقته ببعض سمات شخصيتهم"، **مجلة علم النفس**، العدد الأربعون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

109- الشافعي خليف، الحسنين (2005): "الصحبة في القرآن"، **حولية أصول الدين**، القاهرة، العدد 22، المجلد الأول.

110- الشحود، علي بن نايف (ب.ت): "صفات الأم الصديقة"، **موسوعة البحوث والمقالات العلمية**، دار الباحث في القرآن والسنة، الرياض، السعودية.

111- الشيباني، عمر محمد التومي (1993): "من أسس التربية الإسلامية"، **منشورات الجامعة المفتوحة**، طرابلس.

112- عبد الحميد، محمد محمود (2002): "صداقة الأخيار... كيف تنميها الأسرة؟"، **المجلة العربية**، مقال، العدد مائتان وثماني وتسعون، مصر.

113- عقل، دياب عبد الكريم(2002): "أثر التربية الخاطئة والتوجيه الإعلامـــي والـــصحبة السيئة في انحراف الأحداث وعلاجه في الشريعة الإسلامية"، **مجلة دراســات علــوم الشريعة والقانون**، المجلد29، العدد الأول، الأردن.

114- علي، علي (2000): "جماعة الأقران وعلاقتها بالمشكلات السلوكية والمزاجية لـــدى المراهقين من طلاب المدارس الثانوية"، **مجلة دراسات نفسية**، العدد 3.

115- غانم، محمد حسن (2006) :الصحبة الصالحة.. نور يهـــدي إلـــى نور،كليـــة الآداب، جامعة حلوان، مصر ، www.islamonline.net.

116- قطامي، نايفة (2006): "الصداقة عند أبناء الأمهات العاملات في مدينة عمان وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات"، **مجلة دراسات العلوم التربوية**، بحث محكم، عمـــان، العـــدد الأول.

117- لطفي، طلعت إبراهيم (2000): "جماعة الأقران ومشكلة التغيب عن الدراسة، دراســـة ميدانية كعينة من الطالبات في جامعة الإمارات العربيـــة المتحـــدة"، **مجلـــة شـــؤون اجتماعية**، العدد السابع والستون.

118- محفوظ، محمد جمال الدين (1998): "مصاحبة الأبناء .. وقاية وهداية"، **مجلة منبـــر الإسلام**، مقال، العدد السادس، القاهرة، تصدرها وزارة الأوقاف- المجلـــس الأعلـــى للشئون الإسلامية.

119- مخيمر، عماد (2003): "الرفض الوالدي ورفض الأقران والشعور بالوحدة النفسية في المراهقة"، **مجلة دراسات نفسية**، العدد 1، مجلد3، القاهرة.

120- الوطواط، رشيد الدين (ب.ت):**غرر الخصائص الواضحة**، www.alwarraq.com ، باب اكتساب فضيلتي الأدب والعلم، ج1.